التثليث ومنهج ابن تيمية في إبطاله من خلال كتابه (الجواب الصحيح)

الدكتورة/ سارة بنت فراج بن على العقلأ
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المساعد
بقسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية للبنات ـــ بالرياض

ملخص البحث

فكرة البحث : بيان مفهوم عقيدة التثليث عند النصارى وبيان منهج ابن تيمية في إبطال هذه العقيدة كما ورد في كتابه الجواب الصحيح .

وأما نتائج البحث فأهمها :

أن عيسى ـــ عليه السلام ـــ قد جاء بالدين الصحيح إلا أن أتباعه ما لبث أن حرفوا دينه من بعده ومن أهم العوامل التي أدت إلى ذلك : دخول بولس اليهودي في الديانة النصرانية بقصد إفسادها، ومن الأقوال التي ابتدعها ؛ القول بألوهية المسيح وهذا حجر الزاوية في التثليث،واكتمل ظهور التثليث في القرن الرابع الميلادي بعد دخول قسطنطين في النصرانية وصار العقيدة الرسمية للدولة، على أن علماء النصارى يقرون بأنه لا وجود لهذه الكلمة في الكتب المقدسة عندهم، وأن الكنيسة هي التي ابتدعته، ولا تختلف الفرق النصرانية في اعتقاد هذه العقيدةـــ فهي تمثل لب العقيدة عندهم ـــ على خلاف في فهمها، وقد تولى ابن تيمية ـــ رحمه الله ـــ الرد على هذه العقيدة وفق منهج علمي متزن، ملتزما بالعدل والإنصاف، وتجلى منهجه في الأمور التالية : بيان مخالفة التثليث للعقل، وبيان أنهم مختلفون في فهمه، وبيان اعترافهم بعدم وجود أدلة عليه من الكتب السماوية المقدسة عندهم، بل ما عندهم منها فإنه مخالف له، وما زعموه من ألفاظ وأدلة دالة على أن المسيح ابن الله فهي ثابتة في حق غيره فلا اختصاص له بها، وكذلك ما ثبت للمسيح من آيات ومعجزات فقد ثبت لغيره من الأنبياء مثلها أو أعظم منها،وتتبع جميع أمثلتهم وبين وجه دلالتها، وكان في كل ذلك يحتكم إلى اللغة، وأنكر عليهم استدلالهم بالآيات القرآنية وأنه يلزمهم الإيمان بمحمد ـــصلى الله عليه وسلم ـــ في حال استدلالهم بها .

* * *

المقدمـــة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً تتزه عن الصاحبة والولد والنظير سبحانه واحداً مجيداً ، وصلى الله على رسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً : وبعد ؛

فإن مما ابتدعه النصارى وجعلوه محور ديانتهم المحرفة : القول بالتثليث؛ فزعموا أن الله الواحد قائم في ثلاثة أقانيم إلهية هي: الأب والابن وروح القدس، ودان النصارى بهذا وجعلوه عقيدتهم الرسمية منذ القرن الرابع الميلادي، وحاربوا كل طائفة تنادي بغير هذا، وأقرت هذه العقيدة المجامع الكنسية. وعلى رغم قيام عدة حركات إصلاحية داخل الكنيسة إلا أنها لم تتعرض لهذه العقيدة رغم صعوبة فهمها باعتراف أصحابها ؛ وهي من أعظم ما افتُري به على الله سبحانه . وقد ذكر الله تعالى في كتابه كفر من اعتقد هذا الاعتقاد في آيات عديدة وبرأ المسيح – عليه السلام- من هذا القول وبيّن أنه عبد لله لا يستنكف عن عبادته سبحانه وتعالى.

ثم إن الردود على هذه العقيدة قد توالت من علماء المسلمين على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم [1] ؛ وكان من أجل من رد عليهم : شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – حيث تميز في انطلاقه من منطلق سلفي، ملتزما في رده بالعدل والإنصاف والموضوعية، وذلك في كتابه : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .

فلما لهذه العقيدة من مكانة عند النصارى، ولما عرف عن ابن تيمية من رسوخ في العلم وقوة حجة ؛ رغبت الباحثة في بيان منهج ابن تيمية في مناقشته للنصارى في قضية التثليث وذلك ببحث معنون بـــ (التثليث ومنهج ابن تيمية في إبطاله من خلال كتابه : الجواب الصحيح).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١-انتشار ديانة النصارى في أرجاء المعمورة، و اعتناق أمم متعددة لها، و يمثل أتباعها أكثر أتباع الديانات .

٢- كون التثليث هو لب الديانة النصرانية المحرفة ، واعتناق جميع فرقهم القديمة والمعاصرة له.

٣- التزام ابن تيمية – رحمه الله- بالمنهج السلفي في رده على النصارى.

٤- عمق علم ابن تيمية وما اشتهر عنه من إجادته لفنون كثيرة.

منهج البحث :

سيكون المنهج المتبع في هذا البحث هو : المنهج الاستقرائي التحليلي.

الهدف من البحث :

بيان تعريف النصارى للتثليث ومفهومـــــــــه عندهم، وبيان منهج ابن تيمية – رحمه الله- في إبطال هذه العقيدة الفاسدة، وذلك من خلال كتابه : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح.

خطة البحث :

يتكون البحث من : تمهيد وفصلين وخاتمة .

فأما التمهيد ففيه : نبذة موجزة عن ابن تيمية وكتابه الجواب الصحيح.

وأما الفصل الأول فهو بعنوان : التثليث عند النصارى

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث.

المبحث الأول : مفهوم التثليث عند النصارى

المبحث الثاني : المصادر التي استقوا منها هذه العقيدة.

المبحث الثالث: أشهر فرق النصارى التي رد عليها ابن تيمية .

والفصل الثاني بعنوان : منهج ابن تيمية في إبطال عقيدة التثليث وفيه تسعة مباحث :

المبحث الأول : بيان مخالفة التثليث للعقل.

المبحث الثاني : بيان تناقضهم في فهمه وتعريفه.

المبحث الثالث: اعترافهم بعدم وجود أدلة من الكتب السماوية على التثليث.

المبحث الرابع : بيان مخالفته للشرع الموجود بأيديهم وأيدي غيرهم .

المبحث الخامس: بيان عدم اختصاص المسيح لما زعموه من الأدلة والألفاظ مثل كونه ابنا وغير ذلك وإطلاقها على غيره .

المبحث السادس : احتكام ابن تيمية إلى اللغة (لغة العرب ولغتهم) وحمله للنصوص المتشابهة على المحكمة.

المبحث السابع : تتبعه لجميع أمثلتهم وبيانه لبطلانها.

المبحث الثامن: بيان أن ما ثبت للمسيح من الآيات والمعجزات فقد ثبت مثلها أو أعظم منها لغيره.

المبحث التاسع : إنكاره عليهم الاستدلال بالآيات القرآنية وبيانه لبطلان صنيعهم.

ثم الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث.

هذا وإذ أتقدم بهذا البحث فإني أعتذر عما به من قصور ونقص وحسبي أني قد بذلت فيه جهدي ؛ كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل من أسهم في تصحيحه وبذل فيه من وقته فجزاه الله عني خير الجزاء .

* * *

التمهيد : نبذة موجزة عن ابن تيمية وكتابه الجواب الصحيح.

ترجمة ابن تيمية .

هو: شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله النميري، الحراني،ثم الدمشقي، الحنبلي، إمام الأئمة المجتهد المطلق، الشهير بابن تيمية(٢) .

اختلف في سبب شهرة أسرته بلقب (تيمية) ؛ فقيل إن جده محمد ابن الخضر عندما قصد الحج ترك زوجته حاملاً ولما مر على درب تيماء(٣) رأى جارية حسناء، فلما رجع إلى بلده وجد زوجته قد وضعت له جارية فسماها تيمية لأنها تشبه التي رآها بتيماء، وقيل إن محمدا الجد الأعلى كانت أمه امرأة واعظة وتسمى تيمية فانتسبت الأسرة إليها واشتهرت بها (٤).

وعلى كلٍ فقد غلب لقب نسبه على اسمه .

وأما مولده فكان بحران(٥) سنة إحدى وستين وستمائة من الهجرة، وكانت نشأته في أسرة علم اشتغل رجالها بالتدريس والإفتاء والتأليف، وهاجرت أسرته من حران إلى دمشق(٦) لما أغار التتار على حران سنة سبع وستين وستمائة.

ولا شك في تأثير أسرته عليه ؛ فطلب ابن تيمية العلم وهو في حداثته وفاق أقرانه ؛ فكان شديد الاستحضار للمتون قوالاً للحق لا تأخذه بالله لومة لائم، ذا علم غزير في مختلف الفنون، وكان له من قوة الذكاء وسرعة الحفظ وسعة الفراغ أكبر عون له على ما هو بسبيله من دراسة وتحصيل، فانتهت إليه رياسة المذهب الحنبلي وهو ابن إحدى وعشرين سنة على أن له اختيارات من غير مذهب أحمد(٧). (٨)

قال عنه ابن دقيق العيد(٩) : (رأيت رجلاً جمع العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد) .

وقال ابن حجر[١٠]: (وكان يتكلم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث، فيورد في ساعة من الكتاب والسنة واللغة والنظر ما لا يقدر أحد على أن يـــــــــورده في عدة مجالــــــــس، كأن هذه العلوم بين عينيه يأخذ منها ما يشاء) .[١١]

درس ابن تيمية كل ما عرف في عصره من نحل ومذاهب دراسة واسعة وعميقة ؛ فقرأ الفلسفة ووقف على دقائقها سواء الفلسفة اليونانية القديمة أو ما كتبه الفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام، وكان على علم تام بمناهج هؤلاء وما حاولوه من التوفيق بين الدين والفلسفة .

وأما مذاهب المتكلمين فلم يكن لابن تيمية نظير في دراستها وسبر أغوارها ومعرفة ما بينها من صلات وروابط، مع إطلاع واسع على جميع ما ألفه علماء الكلام [١٢] من متقدمين ومتأخرين ؛ وتشهد له كتبه التي ألفها بالبراعة في ميدان الجدل والقدرة على مناقشة الخصوم .

وكان ابن تيمية أيضاً على معرفة بعقائد الديانات السابقة من يهودية ونصرانية ومعرفة بفرقها المختلفة ومن كتبه التي ألفها للرد على النصارى كتاب (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) – سيأتي تعريف موجز عنه– .

والخلاصة أن ابن تيمية (قد أحاط علماً بكل تراث الفكر في عصره وألم بجميع ألوان الثقافة العقلية من كلامية وفلسفية ثم أعمل في ذلك كله عقله الناقد وذهنه الجبار فأخرج فلسفة – إن صح التعبير – نقدية في غاية القوة والخصوبة).[١٣].

وقع له مع أهل عصره قلاقل وزلازل وامتحن مرة بعد أخرى في حياته، وجرت فتن عديدة ؛ وأول ما أنكر عليه أهل عصره سنة ثمان وتسعين وستمائة من الهجرة حينما ألف الرسالة الحموية الكبرى وبسط فيها مذهب السلف بوضوح وصراحة وأيده بالآيات والأحاديث والنقول عن أئمة السلف، ولكن هذا لم يرض علماء الكلام في عصره وعدوه نزوعاً منه إلى التجسيم والتشبيه، فثاروا عليه ومنع من التدريس، ثم طلب مرة أخرى سنة خمس وسبعمائة إلى مصر وأوذي وسجن ثمانية عشر شهراً ثم أفرج عنه، فخرج داعياً يلقي دروسه هنا وهناك، ثم سجن مرة أخرى ولما أفرج عنه مكث في مصر وانصرف إلى العلم

والدراسة والإفتاء والإرشاد.

وعاد إلى الشام سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ، وكان يقول بكفارة اليمين في الحلف بالطلاق وأن الطلاق الثلاث بلفظ واحد لا يقع إلا واحدة، فمنع بأمر السلطان من الإفتاء بهذا فاستجاب لذلك زمناً ثم عاد إلى الفيتا بها مجدداً، فجدد الأمر بالمنع فلم يذعن لذلك ، فحبس في القلعة بأمر نائب السلطنة سنة عشرين وسبعمائة، ثم أفرج عنه بعد خمسة أشهر بعد أن ورد مرسوم من السلطان بذلك، وعاد ابن تيمية يراجع كتبه مستمراً في إلقاء دروسه حتى جاءت سنة ست وعشرين وسبعمائة حيث اجتمعت كلمة خصومه الكيدية فحرفوا فتواه بعدم جواز شد الرحل إلى قبور الأنبياء والصالحين ؛ وزعموا أنه يرى منع زيارة قبور الصالحين وقبر الرسول ﷺ، فرأى السلطان حبسه في قلعة بدمشق أجري إليها الماء، فاستغل إقامته في تلاوة القرآن الكريم، وأخذ يدون آراءه في العديد من الكتب، كما كان يجيب على رسائل الناس التي كانت تفد إليه في سجنه ؛ فذاعت كتاباته ن إلى أن وافاه الأجل المحتوم وهو محبوس بقلعة دمشق سنة ثمان وعشرين وسبعمائة رحمه الله رحمة واسعة وكانت له جنازة عظيمة ورئيت له منامات صالحة كثيرة.

(وقد أثنى عليه جماعة من أكابر علماء عصره فمن بعدهم ووصفوه بالتفرد وأطلقوا في نعته عبارات ضخمة وهو حقيق بذاك والظاهر أنه لو سلم مما عرض له من المحن المستغرقة لأكثر أيامه المكدرة لذهنه المشوشة لفهمه لكان من المؤلفات والاجتهادات ما لم يكن لغيره).[١٤]

كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح

هذا الكتاب يعد من أهم آثار ابن تيمية ، ومن عنوانه يتضح مضمونه، وسبب تأليفه : أن كتاباً ورد من قبرص[١٥] فيه الاحتجاج لدين النصارى بما يحتج به علماء دينهم في ذلك الزمان وما قبله ؛ وهذا الكتاب من الكتب المعتمدة عند النصارى والمتناقلة بين علمائهم، وله نسخ قديمة وهو مضاف إلى بولص الراهب أسقف صيدا[١٦] الأنطاكي وقد سمى هذا الكتاب : (الكتاب المنطيقي الدولة خاني المبرهن عن الاعتقاد الصحيح والرأي المستقيم) وهو

ستة فصول :

الفصل الأول : دعواهم أن محمداً ﷺ لم يبعث إليهم بل إلى أهل الجاهلية من العرب ، ودعواهم أن في القرآن ما يدل على ذلك ، والعقل يدل على ذلك.

الفصل الثاني : دعواهم أن محمداً ﷺ أثنى في القرآن على دينهم الذي هم عليه ومدحه بما أوجب لهم أن يثبتوا عليه.

الفصل الثالث: دعواهم أن نبوات الأنبياء المتقدمين كالتوراة والزبور والإنجيل وغيرها تشهد لدينهم الذي هم عليه من الأقانيم والتثليث والاتحاد وغير ذلك بأنه حق وصواب فيجب التمسك به .

الفصل الرابع: فيه تقرير ذلك بالمعقول وأن ما هم عليه من التثليث ثابت بالنظر المعقول والشرع المنقول موافق للأصول.

الفصل الخامس : دعواهم أنهم موحدون ، والاعتذار عما يقولونه من ألفاظ يظهر منها تعدد الآلهة كألفاظ الأقانيم بأن ذلك من جنس ما عند المسلمين من النصوص التي يظهر منها ـــ على زعمهم التشبيه والتجسيم.

الفصل السادس: أن المسيح عليه السلام جاء بعد موسى عليه السلام بغاية الكمال، فلا حاجة بعد النهاية إلى شرع مزيد على الغاية بل يكون ما بعد ذلك شرعاً غير مقبول(١٧)

فتصدى ابن تيمية للرد على هذه الرسالة وقال في ذلك (فاقتضى ذلك أن نذكر من الجواب ما يحصل به فصل الخطاب وبيان الخطأ من الصواب لينتفع به أولوا الألباب ويظهر به ما بعث الله به رسله من الميزان والكتاب).(١٨)

وقد عني في دراسة كتابهم والجواب عما جاء فيه بتتبع ما ذكروه بلفظه وتتبع كل فصل بفصل مثله يرد به عليه ؛ فقال : (وأنا أذكر ما ذكره بألفاظهم بأعيانها فصلاً فصلاً ، واتبع كل فصل بما يناسبه من الجواب فرعاً وأصلاً وعقداً وحلاً) إلى أن قال : (ونحن – ولله الحمد- نبين أن كل ما احتجوا به من حجة سمعية من القرآن ومن الكتب المتقدمة على القرآن أو عقلية ، فلا حجة لهم في شيء منها بل الكتب كلها مع القرآن والعقل حجة

عليهم لا لهم، بل عامة ما يحتجـــــــون به من نصوص الأنبياء ومن المعقول فهو نفسه حجة عليهم) [١٩]

ووفى بما قال فرد – رحمه الله– على فصولهم الستة ؛ فأما فصلهم الأول فقد رد ببيانه أن محمداً ﷺ أخبر أنه مرسل إليهم وإلى جميع الإنس والجن ـــ على أن الكلام في صدق مدعي الرسالة وكذبه متقدم على الكلام في عموم رسالته وخصوصها ـــ وأنهم إن أقروا برسالة محمد ﷺ وجب عليهم الإيمان بكل ما ثبت عنه، وإن كذّبوه في كلمة واحدة امتنع أن يقروا بأنه رسول الله، فلا يصح لهم الاحتجاج وهذا مما اتفق عليه أهل الملل كلهم : اليهود والنصارى والمسلمون.

ثم إنه من المتواتر من سنته ﷺ انه دعا أهل الكتاب اليهود والنصارى إلى الإيمان به وبما جاء به، وذكر أن احتجاجهم بالآيات التي زعموا دلالتها على أن نبوته خاصة بالعرب، تدل على أنهم ليسوا ممن يجوز لهم الاستدلال بكلام أحد على مقصده ومراده، وتعرض لذكر معجزات النبي ﷺ وكثرتها، وبيّن أنه لا يجوز أن يحتجوا بشيء من القرآن وما نقل عن محمد ﷺ إلا مع التصديق برسالته وأنه مع التكذيب برسالته لا يمكن الإقرار بنبوة غيره.

وأما فصلهم الثاني ؛ وهو دعواهم : أن القرآن أثنى على دينهم مما يوجب لهم أن يثبتوا عليه ، فقد رد عليهم ابن تيمية مبيناً أن تعظيم المسيح عليه السلام وأمه حق، وكذلك مدح من كان على دينه الذي لم يبدل قبل أن يبعث محمد ﷺ، وأن القرآن لم يثن على ما ابتدعوه مثل الرهبانية بل ذمهم عليها ، وبيّن أن ما استدلوا به من آيات لا تدل بحال على ما ذهبوا إليه ؛ حيث زعموا في كثير من الآيات التي جاء فيها لفظ الرسل أن المراد بهم حواري المسيح ، وهذا تفسير باطل ذلك أن المراد بلفظ الرسل في القرآن إذا أطلق رسل الله، أما الحواريون فهم رسل المسيح .

وتعرض للتوراة والإنجيل وبيّن إمكانية وقوع التحريف فيهما وقارن بينهما في هذه القضية، وبيّن أن التحريف في التوراة كان في المعاني أكثر منه في الألفاظ، وأن التبديل في الإنجيل أظهر، ثم تعرض لغلو اليهود والنصارى في دينهم.

وأما ما ادعاه النصارى من تأييد الكتب السماوية لهم، فقد بيَّن بطلان ما استدلوا به

من النصوص سواء من الكتب السماوية السابقة أو من القرآن الكريم، وبيّن بطلان ما زعموا من القول بالتثليث والاتحاد، وما ابتدعوه من لفظ الاقانيم، وتتبع نصوصهم في هذه المسألة وتقصاها ونقضها نصاً نصاً مبيناً مخالفة اعتقادهم للعقل، وتحميلهم الألفاظ المعاني البعيدة، وموضحاً عدم صحة إسناد بعض تلك النصوص، ثم يبين المعنى الصحيح لهذه النصوص إن صحت.[٢٠]

وهو هنا قد رد على فصلهم الثالث والرابع .

وأما فصلهم الخامس؛ وهو : مناقشة دعواهم أنهم موحدون ، والاعتذار عما يقولونه من ألفاظ يظهر منها تعدد الآلهة كألفاظ الأقانيم، بأن ذلك من جنس ما عند المسلمين من النصوص التي يظهر منها التشبيه والتجسيم ؛ فناقش ابن تيمية ذلك وبيَّن عدم إمكان التوفيق وتعذر تلاقي التثليث مع التوحيد ، وبين بطلان جميع الأمثلة التي يضربها النصارى ؛ وأكد على أن النصوص الصحيحة لا تدل على التشبيه بحال وفصل في لفظ التجسيم وبين الحق فيه.

وأما فصلهم الأخير ؛ وهو : دعواهم أن المسيح عليه السلام قد جاء بعد موسى عليه السلام بغاية الكمال، فلا حاجة بعد النهاية إلى شرع آخر ؛ ذلك أن شريعة موسى عليه السلام شريعة عدل، وشرع المسيح عليه السلام شرع فضل ، فهو الكمال، فأجاب ابن تيمية بأن الشرائع ثلاثة هي : شريعة عدل وشريعة فضل وشريعة تجمع العدل والفضل فتوجب العدل وتندب إلى الفضل وهي شريعة القرآن ؛ مثل قوله تعالى : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ وهذا عدل ﴿ ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ {النحل ١٢٦} هذا فضل؛ وهذه أكمل الشرائع الثلاث ،وتحدث في هذه الموضع عن تفضيلات الشرائع واستدل بكثير من الآيات القرآنية.

ثم تعرض ابن تيمية –رحمه الله– إلى البشارات ؛ ودحض قول النصارى أن محمداً لم تبشر به النبوات بخلاف المسيح فإنه بشرت به النبوات ، فذكر النبوات والبشارات بمحمد ﷺ من أخبار أهل الكتاب ومن نقل عنهم، ثم تعرض لدلائل نبوته ﷺ من إخبار بالغيب، وحرس للسماء بالشهب، وإنزال القرآن عليه وما فيه من آيات ومعجزات، وماله ﷺ من

تأثيرات مثل انشقاق القمر وتكثير الماء والثمار، وعصمة الله له من الناس، وإجابة دعائه عليه الصلاة والسلام، ثم تعرض لآيات الأنبياء وأوضح أنها متنوعة وأن صدق النبي يظهر من مجرد مرآه وسماع كلامه.

هذا هو مضمون كتاب الجواب الصحيح .

ومما يتميز به ابن تيمية في هذا المؤلف وغيره ؛ كثرة الاستطراد وذكر أقوال الفرق الإسلامية في مسائل عديدة، ومن ثم الرد على هذه الفرق جميعاً وتأييد مذهب السلف ؛ وهذا مما يدل على عمق علمه – رحمه الله- (وإن هذا الكتاب أهدأ ما كتبه ابن تيمية في الجدال وهو وحدة جدير بأن يكتب ابن تيمية في سجل العلماء العاملين والأئمة المجاهدين والمفكرين الخالدين).[٢١]

الفصل الأول : التثليث عند النصارى

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث

المبحث الأول : مفهوم التثليث عند النصارى.

المبحث الثاني : المصادر التي استقوا منها هذه العقيدة.

المبحث الثالث : أشهر فرق النصارى التي رد عليها ابن تيمية.

تمهيد: تعريف كلمة النصارى وبيان مجيء عيسى عليه الصلاة السلام بالدين الحق.

النصارى هم الذين آمنوا بعيسى عليه الصلاة والسلام، وقاموا بنشر دعوته إلى التوحيد بعد رفعه إلى السماء، والديانة التي جاء بها ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ مكملة لليهودية ومصححة لما شابها من انحرافات ؛ فلذا شريعتها الأساسية توراة اليهود مع نسخ قليل لبعض ما تضمنته التوراة من أحكام تضمنه الإنجيل، جاء في إنجيل متى : (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لانقض بل لأكمل) [٢٢].

فالنصرانية كانت أساساً موجهة لبنى إسرائيل كما جاء في إنجيل متى من قول عيسى

: (لم أرسل إلا لخراف بيت إسـرائيل الضالة) [٢٣] . وقال الله تعالى : ﴿ ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم﴾ الآية { آل عمران ٤٩ } ؛إلا أن الوثنية التي كانت غالبة على أهل الأرض في ذلك الزمان دفعت الذين دخلوا في هذا الدين من غير بني إسرائيل إلى أن يستمدوا بعض ما رسخ في أذهانهم من أمور الشرك وينقلوه إلى هذا الدين ،وهذا إضافة إلى طول الأمد ــ على بني إسرائيل ــ وعوامل أخرى ــسيأتي الإشارة إلى ذكر بعضها ــ أدت إلى طمس الحق السماوي الذي جاء به المسيح عليه السلام من عقيدة التوحيد وامتزاجه بالمعتقدات الوثنية والفلسفية.[٢٤]

وأطلق عليهم في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة النصارى وأهل الكتاب وأهل الإنجيل ، وهم يسمون أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح عليه الصلاة والسلام ، ويسمون ديانتهم بالمسيحية،إلا أنه من الأولى تسميتهم بالنصارى لأنه الاسم الوارد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ولأنهم في الحقيقة لا يتبعون المسيح عليه السلام فقد بدلوا دينه إضافة إلى أنه قد يظن أو يفهم من تسميتهم بالمسيحيين أن دينهم بما يحويه من كفر وشرك هو الدين الذي جاء به المسيح ــ عليه السلام ــ.[٢٥]

على أن الحواريين والمؤمنين بعيسى عليه السلام لم يكونوا يدعون مسيحيين في زمانه، وكان من الألقاب التي أطلقت عليهم: الجليلين، الناصريين .

فأما لقب الجليلين فقد جاء في سفر أعمال الرسل (وقالا: أيها الرجال الجليليون) [٢٦] ذلك أن المسيح عليه الصلاة والسلام كان من الناصرة وتسمى نصرانة ونصورية [٢٧] وهي اكبر مدن الجليل وقد نسب إليها فيقال: يسوع الناصري [٢٨] ويسوع الجليلي [٢٩] ونسبت النصرانية إليها [٣٠]، ففي قاموس الكتاب المقدس (ودعي تلاميذه ناصريين) [٣١].

وأما تسمية عيسى عليه السلام بالمسيح فقد قال بعض السلف : لكثرة سياحته ، وقيل لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص لهما ، وقيل : لأنه كان إذا مسح أحداً من ذوي العاهات برِيء بإذن الله تعالى، أو لأن زكريا عليه السلام مسحـه بزيت البركة على عادة بنى إسـرائيل في مسح الملوك والأنبياء والكهنة [٣٢]، وقيل بل معنى المسيح: الصديق [٣٣]

وأول ظهور للقب المسيحيين كان بعد رفع المسيح عليه السلام كما جاء في سفر أعمال الرسل (ودعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية (٣٤)أولاً) (٣٥).

وكان ذلك سنة اثنتين وأربعين أو ثلاث وأربعين ميلادية . ويرى بعض الباحثين أن إطلاقه كان بقصد الشتم لما جاء في رسالة بطرس (٣٦) (إن عيرتم باسم المسيح فطوبى لكم)(٣٧)، وقوله : (ولكن إن كان كمسيحي فلا يخجل بل يمجد الله من هذا القبيل) (٣٨) وعللوا ذلك بأن أتباع المسيح كانوا أناساً سفلة عاميين (٣٩) .

وتعرض النصارى لاضطهاد شديد أسهم مع غيره من العوامل في تحريف الديانة النصرانية التي جاء بها عيسى ، حتى ابتداء تبني الدولة رسميا لعقيدة تأليه المسيح ـــ وهذا حجر الزاوية في عقيدة التثليث ـــ بعد مجمع نيقيه (٤٠) الذي عقد عام خمس وعشرين وثلاثمائة من الميلاد، وصار الديانة الرسمية للدولة الرومانية وكان النصارى قبل ذلك مختلفين في هذه العقيدة ؛ فمنهم من كان يعتقد التوحيد ويدعو إليه ويؤمن ببشرية المســـــيح وينكر على من زعم ألوهـــــــيته (٤١) .

والذي دعا إلى هذا المؤتمر هو ملكهم قسطنطين الذي كانت النصرانية عنده وسيلة لا غاية، واعتنق هذا الدين لحكمته السياسة لما يمتاز به أتباع هذا الدين من الطاعة ، ولما شاهده من انتشار هذا الدين واعتناق الرعية له (٤٢).

وعيسى عليه الصلاة والسلام هو آخر أنبياء بني إسرائيل وليس بينه وبين محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ نبي كمـــــا قال ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ : (أنا أولى الناس بابن مريم) (٤٣). وأخبر أنه لابد نازل في آخر الزمـــــان فقال : (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها)(٤٤).

وإذا أنزل فإنه يحكم بشريعة القرآن ؛ قال صلى الله عليه وسلم: (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم)(٤٥).

المبحث الأول : مفهوم التثليث عند النصارى

التعريف اللغوي : بالرجوع إلى معاجم اللغة وقواميسها يتضح أن كلمة (تثليث) تدور حول التعدد ذلك أن الثلاثة من العدد.

جاء في اللسان : (والتثليث أن تسقى الزرع سقية أخرى بعد الثنيا)[٤٦] وفيه: (وثلث الاثنين يثلثهما ثلثاً : صار لهما ثالثاً) وفيه (وأثلث القوم صاروا ثلاثة) [٤٧] .

وفي معجم المقاييس (الثاء واللام والثاء كلمة واحدة وهي في العدد يقال اثنان وثلاثة) [٤٨] .

التعريف الاصطلاحي: أما مفهوم التثليث عند النصارى فهو : اعتقادهم أن الله الواحد قائم في ثلاثة أقانيم [٤٩] إلهية هي : الأب وهو الأقنوم الأول ويعبرون عنه بالذات، والابن : يسوع هو الأقنوم الثاني ويعبرون عنه بالكلمة أو النطق ويجعلونه صورة الله، والروح القدس الأقنوم الثالث ويعبرون عنه بالحياة أو روح الله، والثلاثة الأقانيم إله واحد، على أن لكل واحد منهم مظهر خاص وخاصية ينفرد بها دون الاثنين الآخرين ؛ فباعتباره ذاتاً يسمى الأب، وباعتباره كلمة ونطقاً أو صورة الله يسمى ابناً، وهو باعتباره حياة يسمى روح قدس[٥٠].

جاء في (قاموس الكتاب المقدس)عند تعريف التثليث : إله واحد الأب والابن والروح القدس جوهر واحد متساوون في القدرة والمجد [٥١].

ولخصوا هذه العقيدة في النقاط الست التالية :

١- الكتاب المقدس يقدم لنا ثلاث شخصيات يعتبرهم شخص الله.

هؤلاء الثلاثة يصفهم الكتاب المقدس بطريقة تجعلهم شخصيات متميزة الواحدة عن الأخرى .

٢- هذا التثليث في طبيعة الله ليس مؤقتاً أو ظاهرياً بل أبدي وحقيقي.

٣- هذا التثليث لا يعني ثلاثة آلهة بل إن هذه الشخصيات الثلاث جوهر واحد .

٤- الشخصيات الثلاث الأب والابن والروح القدس متساوون.

٥- ولا يوجد تناقض في هذه العقيدة بل بالأحرى أنها تقدم لنا المفتاح لفهم باقي العقائد المسيحية .(٥٢)

وينسب النصارى لكل واحد من الأقانيم عملاً يختص به وصفة يتميز بها ؛ فأما الأقنوم الأول الذي هو الأب ـــ ويراد عندهم الذات الإلهية مجردة عن الابن وروح القدس ـــ وهو أول الأقانيم لذا ذكر أولاً في قانون الإيمان المسيحي – سيأتي –وهو الخالق في اعتبارهم – لكن ليس بالاستقلال على ما سيأتي – وهو أيضاً إله بالاستقلال وهو بمنزلة الأصل والمبدأ لوجود الابن ؛ مع أن هذا لا يعني لديهم أن الأب سبق الابن في الوجود ، بل الابن أزلي الوجود معه لم يسبق أحدهما الآخر .

وأما الأقنوم الثاني وهو الابن ؛ ويراد به الكلمة أو النطق وهو المسيح، وهو الإله الابن الذي تجسد وأخذ شكل الإنسان، وهو الثاني في المرتبة مع إنه مساو للأب في الوجود، والأب خلق العالم بواسطة الابن الذي نزل إلى الأرض بالصورة البشرية فداءً للبشر ، وهو الذي يتولى محاسبة الناس يوم القيامة وهو الذي يمثل العقل والمحبة .

والأقنوم الثالث : روح القدس، وهو عندهم مساو للأب والابن في الذات والجوهر والطبع، وهو الذي يتولى تأييد أتباع المسيح وتطهيرهم .

فالأب خلق العالمين بواسطة الابن، والابن أتم الفداء وقام به ، والروح القدس يطهر القلب والحياة ؛ غير أن هذه الأقانيم الثلاثة – كما يقولون – يشتركون معاً في جميع الأعمال الإلهية على السواء .(٥٣)

وتتمثل هذه العقيدة في قانون الإيمان الذي يردده النصارى خلف قسسهم في الأعياد وأيام الأحد إذ يقولون فيه :

(نؤمن بإله واحد الأب ضابط الكل خالق السماوات والأرض كل ما يرى وما لا يرى ، نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور، نور من نور إله حق من إله حق من جوهر أبيه ، مولود غير مخلوق مساو للأب في الجوهر، كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان ، هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل

خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومن مريم العذراء وتأنس، وصلب عنا على عهد بيلاطس النبطي وتألم ، وقبر وقام من بين الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب المقدسة، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الرب ، وأيضاً يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات الذي ليس لملكه انقضاء ٠ نؤمن بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب ، نسجد له ونمجده مع الأب والابن الناطق في الأنبياء) [٥٤] .

ويعترف النصارى بأن كلمة التثليث أو الثالوث لم ترد ولا مرة واحدة في جميع كتب العهد القديم[٥٥] والعهد الجديد[٥٦] ؛ فيقول محررو كتاب القاموس المقدس : (والكلمة نفسها [التثليث أو الثالوث] لم ترد في الكتاب المقدس ، ويظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها هو ترتيليان في القرن الثاني للميلاد، ثم ظهر سيبليوس ببدعته في منتصف القرن الثالث وحاول أن يفسر العقيدة بالقول (إن التثليث ليس أمراً حقيقياً في الله ولكنه مجرد إعلان خارجي فهو حادث مؤقت وليس أبدياً)، ثم ظهرت بدعة آريوس [٥٧] الذي نادى بأن الأب وحده هو الأزلي بينما الابن والروح القدس مخلوقان متميزان عن سائر الخلقية، وأخيراً ظهر اثناسيوس داحضاً هذه النظريات وواضعاً أساس العقيدة التي قبلها واعتمدها مجمع نيقية في عام ٣٢٥ ميلادية، ولقد تبلور قانون الإيمان الاثناسيوسي على يد اغسطنيوس في القرن الخامس وصار القانون عقيدة الكنيسة الفعلية من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا) [٥٨].

ويؤكد النصارى على أن التثليث والتوحيد كليهما حقيقيان ؛ فيقولون: (والثلاثة أسماء هي إله واحد مسمى واحد ورب واحد خالق واحد)[٥٩] .

ويعترف علماء النصـــــارى ويصرحون بعدم فهم التثليث ، فيقول أحدهم : (أن الثالوث سر يصعب فهمه وإدراكه وإن من يحاول إدراك سر الثالوث تمام الإدراك كمن يحاول وضع مياه المحيط كلها في كفه).[٦٠]

ويقول آخر : (أجل إن هذا التعليم عن التثليث فوق إدراكنا ولكن عدم إدراكه لا يبطله) [٦١].

ويقول غيره : (قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا ونرجو أن نفهمه فهماً أكثر

جلاء في المستقبل حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما في السموات وما في الأرض، وأما في الوقت الحاضر ففي القدر الذي فهمناه كفاية)[٦٢].

ويقول محررو قاموس الكتاب المقدس – مؤكدين على المعاني السابقة : (عقيدة التثليث عقيدة سامية ترتفع فوق الإدراك البشري ولا يدركها العقل مجرداً) [٦٣]

المبحث الثاني : التثليث وتعدد الآلهة في الأمم السابقة قبل المسيح ـ عليه السلام ـ

كانت رسالة عيسى عليه الصلاة والسلام خاصة ببني إسرائيل ؛ جاء في إنجيل متى أنه قال للحواريين (إلي طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحري إلى خراف بنى إسرائيل الضالة)[٦٤] ؛ إلا أن أتباعه فيما بعد خالفوا وصيته هذه وتوجهوا إلى الوثنيين من عامة الأمم، وكان لبولس دور لا ينسى في جعل دعوة المسيح عالمية بعد أن كانت خاصة ببني إسرائيل [٦٥] ؛ وربما كان لجنسيته الرومانية [٦٦] تأثير في هذه المسألة مع أنه يهودي بالوراثة والدراسة ؛ بل كما قال عن نفسه (أنا فريسي ابن فريسي على رجاء قيامة الموات) [٦٧].

وقد ادعى أنه معلم النصرانية الوحيد، وظل طوال حياته يعد نفسه فريسياً حتى بعد أن نبذ الشريعة اليهودية [٦٨]، ونشر تعاليم ديانة نصرانية محرفة استمدها من مذاهب الهندوس والبوذيين وفلسفة الإغريق، وحرص منذ إعلان دخوله في النصرانية على تأكيد مسألة مهمة وهي : استقلاله التام عن تلاميذ عيسى عليه السلام في تعليمه ، فلم يستشر أحداً منهم، وبقى متباعداً عنهم: وأشار علماء النصرانية إلى أن الرسائل البولسية كثيراً ما تعارض الإنجيل [٦٩] وجاء لأول مرة بفكرة التثليث ، وبفكرة أن المسيح ابن الله ، وأنه نزل ليضحي بنفسه تكفيراً عن خطيئة البشر ، وأنه صعد ليجلس عن يمين أبيه ليحكم ويدين البشر، وزعم أن النصرانية ديانة عالمية ليست خاصة ببني إسرائيل.

وقد اعترف بولس في رسائله أنه استخدم كل الوسائل لكسب أكبر عدد من الأتباع؛ فقال: (فصرت لليهود كاليهودي لأربح اليهود ،وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس، وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس، مع أني لست بلا

ناموس لله بل تحت ناموس المسيح، لأربح الذين بلا ناموس)[٧٠] .

وهكذا عرض النصرانية على أصحاب العقائد المختلفة بالصورة التي ترضى كلاً منهم وترتب على ذلك أن دخلوا الديانة الجديدة بعقائدهم وأفكارهم القديمة .

وذكر في كتاب نشره الفاتيكان بأن بولس (منذ بدء المسيحية ينصح لحديثي الإيمان أن يحتفظوا بما كانوا عليه من أحوال قبل إيمانهم بيسوع)[٧١] .

وأقر بولس في إحدى رسائله بإنكاره على بطرس – زعيم الحواريين – إلزامه الداخليين في الدين الجديد بالختان ؛ فقال له (إن كنت وأنت يهودي تعيش أممياً لا يهودياً فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا)[٧٢]، ومن أقواله: (لايتبرر الإنسان إلا عن طريق الإيمان بالمسيح يسوع ولا بقوة الأعمال بحسب الشريعة)[٧٣] وعلق أصحاب معجم اللاهوت الكتابي على هذا النص بأن بولس يعلق (عدم جدوى ترتيبات العبادة الخاصة باليهودية من ختان وحفظ فرائض معينة)[٧٤].

ويلحظ أن أفكار بولس انتشرت في الغرب بين الوثنيين واليونان في الوقت الذي حوربت فيه بالمشرق ؛ وفي ذلك يقول بولس مخاطباً أحد تلامذته : (أنت تعلم أن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني)[٧٥][٧٦] .

والتشابه بين أفكار بولس والديانات التي شاعت في العالم الروماني لا يخفى والمهم هنا ما يتعلق بالتثليث ــ أوتعدد الآلهة ــ والأمم التي عرفته ودانت به قبل النصرانية فمنها :-

١- ديانة الهندوس

والتي كما يقول الباحثون جمعت آلهة الهنود في إله واحد له ثلاثة أقانيم ؛ وذلك في القرن الثامن قبل الميلاد عند تنظيم هذه الديانة ؛ فأطلق رجال الدين على هذا الإله ثلاثة أسماء ؛ فيسمى براهما من حيث هو موجد للعالم ، ويسمى فشنو من حيث هو حافظ للعالم ،ويسمى شيفا من حيث هو مهلك للعالم، ولا يوجد أدنى فارق بين هؤلاء الثلاثة إذ الإله

الواحد يظهر بثلاثة أشكال، ومن عبد أحد الثلاثة فكأنما عبدها جميعا، مع أن لكل واحد منهم وجود بعينه [٧٧] .

وأما عن العلاقة بين هذه الثلاثة فقالوا: أن الإله برهما كان قبل الوجود فأحب أن يعرف الخلق فخلق العالم، فسمى نفسه الخالق، ثم انبثق منه الإله الثاني لرعاية هذا العالم وحفظه فسمى نفسه في هذه المرحلة فشنو، ولما كان مصير الممكنات إلى الفناء والانتهاء لأنه لا يدوم العالم كدوام الخالق انبثق منه الإله الثالث وسمى نفسه في هذه المرحلة شيفا، وهو في الحقيقة إله واحد له ثلاثة أوصاف ذاتية فكل منها يمثل ذاتاً مستقلة [٧٨].

٢- الديانة المصرية القديمة

يعلل بعض الباحثين سبق الشعب المصري لاعتناق النصرانية؛ لأنهم وجدوا في قصة حياة المسيح صدى لقصة أوزوريس الإله، الذي ذهب ضحية روح الشر، ولاعتناق المصريين القدماء عقيدة الثالوث الأقدس (أوزوريس وإيزيس وحورس)؛ فهم يقولون أن حورس المخلص ولد من العذراء إيزيس وهو المنبثق الثاني ويقولون : الابن المولود ويصورونه إما على يدي أمه أو على حضنها .

وهذا الثالوث عرف في الفكر المصري قبل خمسة عشر قرناً من مولد المسيح[٧٩] .

٣- الديانة المثيراسية :

وهذه الديانة فارسية الأصل، وازدهرت في بلاد فارس قبل الميلاد بحوالي ستة قرون، ثم نزحت إلى روما[٨٠] عام ٧٠ م ، وانتشرت في بلاد الرومان، ومن اعتقادات هذه الديانة أن ميثراس كان وسيطاً بين الله والناس، وأنه مات ليخلص البشر من خطاياهم ثم دفن ولكنه عاد للحياة بقيامته من قبره، ويقول أحد الباحثين: إن ديانة مثيراس لم تتنه في روما إلا من بعد أن انتقلت عناصرها الأساسية إلى النصرانية [٨١] .

الأفكار و الفلسفة الأفلاطونية الحديثة .

وتنسب إلى افلوطين [٨٢] الذي يتلخص اعتقاده في أن الكون قد صدر عن منشئ أزلي، وأن جميع الأرواح شعب لروح واحد وتتصل بالمنشئ الأول بواسطة العقل، وأن العالم

بتكوينه وتدبيره خاضع لهذه الثلاثة، فالله منشئ الأشياء ومصدر كل شيء وأول شيء صدر عنه هو: العقل ولهذا العقل قوة الإنتاج، ومن العقل تنبثق الروح التي هي وحدة الأرواح، وعن هذا الثالوث يصدر منه كل شيء ومنه يتولد كل شيء .[٨٣]

وكان هذا المذهب معروفاً قبل مجمع نيقية بأمد طويل، وهو المذهب الفلسفي لمدرسة الاسكندرية [٨٤] وكان بطريك الاسكندرية أكبر مدافع عن عقيدة التثليث في مجمع نيقية[٨٣].

٤- الديانة البابلية القديمة .

والتي كما يقول الباحثون تؤمن بثلاثة آلهة هي :-

١- إله السماء والأرض والبحر ٠

٢- إله الشمس والقمر ٠

٣- إله العدالة والتشريع ٠

٤- وكان البابليون يدينون بتعدد الآلهة ولكنهم نظموا هؤلاء الآلهة أثلاثاً، وجعلوها مجموعات كل مجموعة منها متميزة المكان والقدرة وذلك في القرن الرابع قبل الميلاد ٠ [٨٥]

٥- ديانة الفنيقيين .

وقد كان في كل عاصمة من عواصمهم ولكل مستعمرة من مستعمراتهم ثالوث ، وهذا الثالوث مكون من :-

١-ايل (أي القدر)

٢-شموز (أي السيد)

٣-عولم (أي الأزلي)[٨٦] .

فهذه الوثنيات القديمة صورت لنفسها ، أو صور لها كهنوتها أن الله له ابنا أو ابناء ـــوهي سابقة على النصرانية ؛والتشابه بينها مما لا مجال لإنكاره ولا يعقل أن يؤثر التالي على السابق ؛ فلا شك أن لتلك الوثنيات تأثير في ظهور النصرانية الجديدة المحرفة، فلم تنته هذه

الديانات إلا بعد انتقال عناصرها الأساسية إلى النصرانية ؛ وقد يكون التشابه بين الديانات السابقة والنصرانية هو الذي جعل مؤلف قصة الحضارة يتساءل : هل وجد المسيح حقاً أو أن قصة حياة مؤسس المسيحية وثمرة أحزان البشرية وخيالها وأمالها أسطورة من الأساطير شبيهة بخرافات كرشنا وأوزريس وأنيس وادنيس وديونتش ومثران.(٨٧)

المبحث الثالث : أشهر فرق من النصارى التي رد عليها ابن تيمية

ذكر ابن تيمية – رحمة الله – أن النصارى طوائف كثيرة مختلفون في مقالاتهم ، وأشار إلى أن أشهر طوائفهم هي الملكية واليعقوبية والنسطورية، وهي التي وجه الرد عليها في كتابه، وهذه الفرق متفقة على القول بالتثليث، ولكن الخلاف بينها في صفة الاتحاد .

١- الملكية :-

ويقال لهم الملكانية ، وسموا بذلك إما نسبة لرجل منهم يدعي ملكا وهو صاحب مقالتهم ، أو نسبة إلى دين الملك وهو الإمبراطور الروماني ؛ ذلك أنه كان يسوس الناس على مقالته ويحملهم على اعتناق قوله، وإطلاق لفظ الملكية على أتباع هذا المذهب من وضع العرب كما ذهب إلى ذلك ابن حزم (٨٨) (٨٩).

ويقول أصحاب هذا المذهب : بأن الله اسم لثلاثة معان ؛ فهو واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد ، وأن الكلمة اتحدت بجسد المسيح ومازجته كما يمازج الخمر الماء أو اللبن فصار شيئاً واحداً .

وقالوا : بأن الجوهر غير الأقانيم، وأن المسيح جوهران و أقنوم واحد، وأن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته، ويعنون بالكلمة أقنوم العلم، ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابنا بل المسيح مع ما تدرع به ابن، وأنه ناسوت كلي لا جزيء، وهو قديم أزلي من قديم أزلي، وأن مريم ولدت إلهاً وهو الذي قتل وصلب بلا هوته وناسوته معاً .

فلم يزل وهو إنسان بجوهر الناسوت وثبت له جوهر اللاهوت كما لم يزل، وصح له جوهر الناسوت الذي لبسه من مريم، وهو شخص واحد لم يزدد عدده ، وطبيعتان ولكل واحد من الطبيعتين مشيئة كاملة، فله بلا هوته مشيئة مثل الأب والروح، وله بنا سوته

مشيئة ، وأن مريم ولدت إلهاً ، وان المسيح وهو اسم يجمع اللاهوت والناسوت مات ، وأن الله لم يمت، والذي ولدت مريم قد مات بجوهر ناسوته، فهو إله تام بجوهر لاهوته، وإنسان تام بجوهر ناسوته، وله مشيئة اللاهوت ومشيئة الناسوت وهو شخص واحد ٠

على هذا فالمسيح أقنوم إلهي بحت ولكن له ذاتان وكيانان هما الإله والإنسان (٩٠).

وقد اعتنقت كنيسة روما هـــــــذا المذهب واتخذت به قراراً في مجمع خلقدونية (٩١) سنة ٤٥١ م .

والكنيسة الكاثوليكية في عصرنا الحاضر هي وارثة لمذهب الملكية أو الملكانية .

ولفظ كاثوليك معناها جامعة أو المذهب العمومي ؛ لأن الكنيسة الكاثوليكية لا تضم إلى أحضانها أمة معينة بل تدعو جميع الأمم إلى الانضمام تحت لوائها ، وتسمى كنيستها الكنيسة الغربية أو اللاتينية أو البطرسية نسبة إلى بطرس رئيس الحواريين لأنها ترى نفسها وارثة لبطرس، وتتبع النظام البابوي، والبابا هو المشرع بعد عيسى عليه السلام، وجميع بابوات روما خلفاؤه ؛ ذلك أنه لما ضعفت الكنائس الشرقية زاد نفوذ كنيسة روما حتى صار البابا فيها ممثلاً لجميع الكنائس الكاثوليكية بحجة أنه مجاور لمقبرة بطرس الذي قتل في روما، والبابا في نظر المسيحيين معصوم لا يصدر عنه الخطأ، ورئيس هذه الكنيسة في الوقت الحاضر هو رئيس دولة الفاتيكان وأوامره لا تقبل الجدال أو المناقشة (٩٢) .

٢- اليعقوبية

نسبة إلى رجل يقال انه يعقوب البراذعي(٩٣) . ومذهبهم أن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين: إحداهما طبيعة اللاهوت، والأخرى طبيعة الناسوت، وأن هاتين الطبيعتين تركبتا كما تركبت النفس مع البدن فصارتا إنساناً واحداً وجوهر واحد وشخصاً واحد، وأن هذه الطبيعة الواحدة والشخص الواحد هو المسيح، وهو إله كله وإنسان كله، وهو شخص واحد وطبيعة واحدة من طبيعتين، وأن مريم ولدت إله، وأنه مات وصلب متجسداً ودفن، وقام بين الأموات وصعد إلى السماء، لأن القتل والصلب وقعا على الجوهر الذي هو من جوهرين، ولو وقع على أحدهما لبطل الاتحاد .

فصرح اليعقوبية بأن الكلمة انقلبت لحماً ودماً فصار المسيح الظاهر بجسده هو الله، فاللاهوت ظهر بالناسوت، وصار ناسوت المسيح مظهر الجوهر؛ لا على طريق حلول جزء فيه، ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة، بل صار هوهو بطريق الظهور كما يظهر الملك بصورة إنسان، أو يظهر الشيطان بصورة حيوان، وكظهور صورة الإنسان في المرآة المجلوة ؛ فهو جوهر واحد من جوهرين، فالكلمة لم تأخذ من مريم شيئاً لكنها مرت بها كمرور الماء بالميزاب(٩٤) .

وقد أعلن هذا المذهب في مجمع عقد لهذا الغرض في مدينة إفسس (٩٥) سنة ٤٣١م .

وهذا المذهب يمثله حالياً طائفة الآرثوذكس، ويسمى مذهب الكنائس الشرقية (٩٦) ؛ لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين أو من البلاد الشرقية على وجه العموم وقد انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية سنة ١٠٥٤م .

وتفترق عن الكاثوليك في أن المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، بينما يقول أولئك –كما سبق – بأن المسيح طبيعتان ومشيئتان ، كذلك قال الأرثوذكس : بأن روح القدس انبثق من الله الأب، وأن الله الأب أفضل من الله الابن، بينما يقول الكاثوليك : بأن روح القدس انبثق من الله الأب والله الابن معاً ، وقالوا بالمساواة الكاملة بينهما .

وطائفة الآرثوذكس (اليعقوبية) مؤلفة الآن من عدة كنائس مستقلة، وهي تتبع نظام الإكليروس؛ وهويبدأ من البطريك، ويليه في الرتبة المطارنة، ثم الأساقفة، ثم القسس أصحاب الامتياز ويسمون القمامصة،ثم القسس العاديون ويسمون القساوسة ؛ وهؤلاء جميعاً أصحاب الرأي والكلمة في كل ما يدور حول الكنيسة (٩٧)

٣–النسطورية

نسبة إلى نسطور الذي كان بطريرك الاسكندرية سنة ٤٣١م، وقيل إلى نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون .

ومذهب النسطورية: أن المسيح شخصان وطبيعتان لهما مشيئة واحدة،وأن طبيعة اللاهوت التي للمسيح غير طبيعة ناسوته، وأن الكلمة اتحدت بجسد المسيح لا على طريق الملكية بالامتزاج، ولا على طريق اليعقوبية بالظهور، ولكن كإشراق الشمس على البلور

وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم .

وأن الابن المتولد من الأب اتحد بجسد المسيح حين ولد ، فهو إله وإنسان اتحدا، فهما جوهران وأقنومان وطبيعتان، إله تام وإنسان تام، ولم يبطل الاتحاد قدم القديم ولا حدوث المحدث ؛ لكنهما صارا مسيحا واحداً وطبيعة واحدة، فاللاهوت لا يقبل زيادة ولا نقصانا ولا يمتزج بشيء، والناسوت يقبل الزيادة والنقصان، فكان المسيح بذلك إلهاً وإنساناً، فهو إله بجوهر اللاهوت الذي لا يزيد ولا ينقص، وهو إنسان بجوهر الناسوت القابل للزيادة والنقصان.

وأن القتل وقع على المسيح من وجهة ناسوته لا من جهة لاهوته لأن الإله لا تحله الآلام .

وأن مريم ولدت المسيح بناسوته، وأن اللاهوت لم يفارقه قط منذ توحد بناسوته .

وقالوا: بأن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة :- الوجود والعلم والحياة وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هي .ولايزال هذا المذهب موجوداً في العراق [٩٨]والموصل [٩٩]والجزيرة.[١٠٠][١٠١] .

وبعد، فهذه الفرق الثلاث التي رد عليها ابن تيمية، وهي أشهر الفرق في وقته، والفرقتان الأولى والثانية ما زالتا من أشهر الفرق المعاصرة، وأما ثالثة الفرق المعاصرة فهي البروتستانت، وقد حدثت بعد زمن ابن تيمية، وهي من أشهر الفرق المعاصرة،

ومعنى بروتستانت المحتجون أو المعارضون ، ويسمون كنيستهم الكنيسة الإنجيلية إشارة إلى أن اتباع هذه الكنيسة يتبعون الإنجيل دون غيره ؛ وهي تعد حركة إصلاحية داخل الكنيسة الكاثوليكية، وكان ظهور هذه الفرقة في القرن السادس عشر الميلادي، وأنكرت على كنيسة روما ممارسات عديدة .

وأهم مبادئها أن الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد للنصرانية، وأنه ليس للكنيسة حق غفران الذنوب، وأنكروا أن المسيح يحل في بدن كل من يأكل العشاء الرباني وأن الخبز يستحيل إلى عظام المسيح والخمر إلى دمه، وقالوا بأن العشاء الرباني تذكير لما قام به المسيح من فداء للخليقة ، ونادوا بعدم اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس ، وأن الصلاة تكون بلغة

مفهومة .

ولا تختلف هذه الفرقة عن سابقتيها في القول بعقيدة التثليث، وألوهية المسيح وبنوته وصلبه وقيامه وتكفيره عن خطيئة البشر الأزلية التي ارتكبها آدم.

إلا أنهم لما رأوا أن بيان علاقة الاتحاد بين أقنوم الكلمة وجسد المسيح لا يخلوا عن الفساد البيّن تركوا آراء الأسلاف وعجزوا أنفسهم واختاروا السكوت عن بيانها وعن بيان العلاقة بين الأقانيم الثلاثة [١٠٢]

فهكذا نجد أن جميع فرق النصارى – على اختلافها- قد بالغت في تعظيم عيسى ــ عليه الصلاة والسلام ــ وإطرائه حين زعمت أنه ابن الله أو أن اللاهوت قد حل فيه وقد نهى محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ أمته عن إطرائه كما فعلت النصارى فقال : (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله) [١٠٣] .

الفصل الثاني : منهج ابن تيمية في إبطال عقيدة التثليث

وفيه تسعة مباحث :

المبحث الأول : بيان مخالفة التثليث للعقل.

المبحث الثاني : بيان تناقضهم في فهمه وتعريفه.

المبحث الثالث : اعترافهم بعدم وجود أدلة من الكتب السماوية على التثليث.

المبحث الرابع : بيان مخالفته للشرع الموجود بأيديهم وأيدي غيرهم.

المبحث الخامس : بيان عدم اختصاص المسيح لما زعموا من الأدلة والألفاظ مثل كونه ابنا وغير ذلك وإطلاقها على غيره .

المبحث السادس : احتكام ابن تيمية إلى اللغة (لغة العرب ولغتهم) وحمله للنصوص المتشابهة على المحكمة .

المبحث السابع : تتبعه لجميع أمثلتهم وبيانه لبطلانها.

المبحث الثامن : بيان أن ما ثبت للمسيح من الآيات فقد ثبت مثلها أو أعظم منها

لغيره.

المبحث التاسع : إنكاره عليهم الاستدلال بالآيات القرآنية وبيانه لبطلان صنيعهم .

المبحث الأول : بيان مخالفة التثليث للعقل.

بيَّن ابن تيمية – رحمه الله- مخالفة التثليث للعقل من خلال ردين؛ أحدهما إجمالي والآخر تفصيلي ؛فأما الأول: فقد ذكر بأن الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يجوز أن يخبروا بما يحيله العقل ويمنعه ويبطله، وإن كانوا يخبرون بما يحتار العقل فيه (فلا يعرفه ولا يعلم فيه بنفي ولا إثبات) (١٠٤) وأن ما علم بصريح العقل لا يناقض ما علم بالنقل الصحيح (١٠٥) .

وبيّن أنهم (يجدون نفرة عقولهم وقلوبهم عن التثليث والاتحاد والحلول فإن فطرة الله التي فطر الناس عليها وما جعله الله في قلوب الناس من المعارف العقلية التي قد يسمونها ناموساً عقلياً طبيعياً يدفع ذلك وينفيه)(١٠٦) .

لذا (ينهون جمهورهم عن البحث والمناظرة في ذلك لعلمهم بأن العقل الصريح متى تصور دينهم علم أنه باطل) (١٠٧) .

وذكر أن النصارى إذا طولبوا بتفهيم مذهبهم أجابوا بأنه فوق العقل، أو بعبارة أخرى لا يتصوره العقل،

واعترض عليهم في جوابهم هذا بأنه لا بد من التفريق بين ما يعلم بطلانه بالعقل وبين ما يعجز العقل عن تصوره ومعرفته، وأن الرسل عليهم السلام – كما سبق- تأتي بالثاني ولا تأتي بالأول، على أن ما يعجز العقل عن تصوره يقبل من الأنبياء فقط أما غيرهم فلا يقبل منهم وليس لأحد أن يعتقده وهذه الأقوال – كما سيأتي- لم يقلها الأنبياء عليهم السلام (١٠٨) .

ونقل قول بعض النظار: ما من قول يقوله طائفة من العقلاء إلا إذا تأملته تصورت منه معنىً معقولاً وإن كان باطلاً إلا قول النصارى فإنك كلما تأملته لم تتصور لك حقيقة تعقل .(١٠٩)

وكان هذا الوجه الإجمالي في رده – رحمه الله- ؛ أما ردوده التفصيلية فقد أكثر من

المناقشة العقلية لأقوالهم، مبيّناً من خلال مناقشته لهم بطلان قولهم في الجمع بين التثليث والوحدانية، فأوضح بطلان كون الثلاثة واحداً مهما زعموا في الأقانيم الثلاثة من أنها أسماء أو صفات ؛ فإن قالوا إنها أسماء الله وصفاته ؛فما وجه اقتصار النصارى على ثلاثة أسماء أو صفات دون غيرها ففعلهم هذا باطل ؛

ثم رد عليهم في زعمهم أنها صفات جوهرية فلذلك اقتصر عليها، بأن ذكر أنهم إن أرادوا بقولهم جوهرية أن كل صفة جوهر ؛فهذا كلام فاسد لأن الصفة القائمة بغيرها لا تكون جوهراً قائماً بنفسه ؛ وإن أرادوا بقولهم جوهرية أنها صفات ذاتية وغيرها صفات فعلية؛ فهناك صفات ذاتية لم يذكروها مثل القدرة.

وإن أرادوا بلفظ الجوهرية مصطلح فلاسفة اليونان؛ أنها ذاتية مقومة وغيرها عرضية، فهذا باطل لأن تفريق هؤلاء في الصفات اللازمة للموصوف بين صفة وصفة،وجعل بعضها ذاتياً مقوماً وبعضها عرضياً، لم يوافقهم عليه غيرهم،ثم لو قدر ذلك فلا شك أن القدرة من القسم الأول، لذا كان من طوائف النصارى من يجعل القدرة مكان الحياة، ويكون روح القدس هو القدرة.(١١٠)

وناقشهم مناقشة عقلية في المتحد بالمسيح ما هو؟ أهو ذات رب العالمين المتصفة بالكلام؟ أم هو الكلمة التي هي مجرد الصفة ؟ أم بعض ذلك دون بعض؟ فإن كان المتحد به هو الكلام مع الذات كان المسيح هو الأب والابن وهو روح القدس، فصار هو الأقانيم الثلاثة، وهذا مما اتفق النصارى على بطلانه ؛ فإنهم يقولون في المسيح هو الله،وهو ابن الله، ولا يقولون هو الأب والابن .

وإن قالوا :المتحد به الكلمة فقط، فالكلمة صفة والصفة لا تقوم بغير موصوفها ولا تفارقه، وصفة الرب قائمة به لا تفارقه ولا يمكن اتحادها ولا حلولها في شي دون الذات، وهي ليست إلها خالقا .

وإن قالوا : المتحد به بعض ذلك دون بعض ؛ فقد اعترفوا بالتبعيض والتجزئة مع بطلانه.(١١١)

وبيّن أن القول بالاتحاد، أو بالحلول بلا اتحاد(١١٢) – وكل الفرق الثلاث يقولون

بنوع من الاتحاد – من الدور الممتنع(١١٣) ذلك أنه في الاتحاد : كل من المتحدين لا بد له من الآخر فهو محتاج إليه ؛ ومن أمثلتهم فيه الروح مع البدن والنار مع الحديدة، ومع ذلك فالروح محتاجة إلى البدن ،

وكذلك النار محتاجة إلى الحديدة، وكذلك الحلول فإن كل حال محتاج إلى محلول فيه،

فإن قالوا : الناسوت الذي حلّ واتحد معه اللاهوت مخلوق وهو موجود بنفسه قديم أزلي فلا يعد مخلوقاً،وإن قدر أن كليهما قديم أزلي فإنه يمتنع – عقلاً– أن يكون كل من القديمين الأزليين محتاجاً إلى الآخر أو مفتقراً إليه بوجه من الوجوه ؛ لأنه يلزم أن لا يوجد كل واحدٍ منهما إلا بخلق الآخر ما به تتم حاجة الآخر، وهذا هو الدور القبلي الممتنع في صريح العقل.(١١٤)

كذلك ما زعموا من أن الكلمة أو النطق متولدة من الله يلزم منه القول بالدور الممتنع ؛ ذلك أن كلمة متولد تعني أنه حدث بعد أن لم يكن فكان الآب قبل الحياة والنطق، أي اتصف بصفات الكمال بعد أن لم يكن متصفاً بها فكل ما سوى الله مخلوق له ؛فيمتنع أن يكون غير الله هو الذي جعل الله كاملاً، ذلك أنه إذا كان الشيء لا يجعل غيره متصفاً بصفات الكمال حتى يكون هو متصفاً بها فإذا كان اتصافه بها متوافقاً على غيره فهذا هو الدور الممتنع.

فبطل كون نطقه متولداً منه، كما بطل أن يكون لصفاته اللازمة له ما هو مبدأ لها متقدم عليها أو فاعل لها.(١١٥)

وإن قالوا إنما أردنا بقول : متولد أنه صفة لازمة لله،قيل لهم : فكذلك الحياة صفة لازمة له، فيكون روح القدس ابناً ثانياً .

وإن قالوا : بل نريد به أنه حصل منه بعد أن لم يكن،لزم أن يكون عالماً بعد أن لم يكن، وهذا مع كونه باطلاً وكفراً فيلزم مثله في الحياة وهو أنه صار حياً بعد أن لم يكن حياً.(١١٦)

وبيّن أن ما أجمعوا عليه في أمانتهم من اعتقادهم في الاتحاد وأن أقنوم الابن أو اللاهوت المتحد بالناسوت صعد إلى السماء وجلس عن يمين الأب، وأنه منذ اتحد بالناسوت فإنه لم يفارقه، فالصاعد هو اللاهوت والناسوت هو عين التبعيض والتجزئة ؛ ذلك أنه لا يعقل أحد من كون اللاهوت المتحد بالناسوت جلس عن يمين اللاهوت المجرد عن الاتحاد إلا أن هذا اللاهوت المجرد منفصل مباين للاهوت المتحد غير متصل به، بل غايته أن يكون مماساً له ، وهذا حقيقة التبعيض والتجزئة.(١١٧)

على أن الاتحاد يستلزم استحالة كل من الشيئين المتحدين وانقلاب صفة كل منهما بل حقيقته، وإن بقي كل منهما بعد الاتحاد كما كانا قبله فهذا ليس باتحاد ، بل لا بد من استحالة وتغير فيلزم أن يكون اللاهوت وكذا الناسوت استحال كل منهما وتغّير، والاستحالة لا تكون إلا بعدم شيء ووجود آخر ،فيلزم عدم شيء من القديم الواجب الوجود بنفسه وهذا ظاهر البطلان ذلك أن ما وجب قدمه استحال عدمه وما وجب وجوده امتنع عدمه.(١١٨)

وأما وصفهم لروح القدس بأنه منبثق من الأب، وأنه مسجود له وممجد ناطق في الأنبياء ، وأنه – كما سبق- هو أقنوم الحياة ، فقد أبطله ابن تيمية بأنه يمتنع أن يقال في حياة الرب أنها منه ؛بل الانبثاق في الكلام أظـــــهر منه في الحياة.(١١٩)

ثم ذكر أن تشبيههم انبثاق روح القدس من الأب بانبثاق الشعاع من الشمس ؛ تشبيه باطل لأمور منها :

أن الشعاع عرض قائم بالهواء والأرض ،وليس جوهراً قائماً بنفسه وروح القدس عندهم حي مسجود له وهو جوهر .

ومنها : أن ذلك الشعاع القائم بالهواء والأرض ليس صفة للشمس ولا قائماً بها ،وحياة الرب صفة قائمة به.

كذلك أنهم خصوا روح القدس بالانبثاق، ولم يقولوا في الكلمة أنها منبثقة ، والانبثاق لو كان حقاً لكان الكلام أشبه منه بالحياة.

ثم قال ابن تيمية : (وكلما تدبر العامل كلامهم وجد فيه من مناقضة صريح المعقول

ما لا يخفى) [١٢٠].

المبحث الثاني : بيان تناقضهم في فهمه وتعريفه:

تناقض النصارى في التثليث وما يتعلق به من الاتحاد والأقانيم وغير ذلك يتمثل في مناقضة بعضهم لأقوال بعض،واختلاف فرقهم في فهمه والتعبير عنه، وفي تناقض أصحاب القول الواحد وذلك بجمعهم بين النقيضين.

فأما الأول ؛ فقد ذكر ابن تيمية عن بعض من رد عليهم قوله : أنه لو اجتمع عشر نصارى لتفرقوا عن أحد عشر قولاً .

قال : وقال آخر : لو سألت بعض النصارى وامرأته وابنه عن توحيدهم؛ لقال الرجل قولاً ،وامرأته قولاً آخر، وابنه قولاً ثالثاً[١٢١].

ونقل عن الحسن بن أيوب [١٢٢] قوله: فلو أن قوماً لم يعرفوا لهم إلهاً ولا ديناً، ثم عرض عليهم دين النصرانية وجب أن يتوقفوا عنه ، إذ كان أهله لم يتفقوا على شيء منه، ودل اختلافهم في مقالاتهم وما بينها مما في كتبهم على باطله[١٢٣] .

ثم ذكر أن كل طائفة من طوائف النصارى تلعن الأخرى ؛فأهل الأمانة يلعنون الأريوسية [١٢٤] وغيرهم من طوائف النصارى،والأريوسية تلعنهم، وكلٌّ من الفرق الثلاثة : النسطورية واليعقوبية والملكية تلعن الطائفتين الأخريين،ن فما منهم من أحد إلى وهو لاعن ملعون[١٢٥] .

وذكر ابن تيمية عن بعض النظار قوله: غايتـــــــهم أن يحفظـــــــوا الأمانة أو غيرها وإذا طولبوا بتفسير ذلك فسره كل منهم بتفسير يكفر به الآخر[١٢٦] .

فالنصارى ليس لهم قول اتفقوا عليه ؛بل هم فرق وطوائف كل فرقة تكفر الأخرى،حتى القائلون منهم بالأمانة وهم الفرق الثلاث: الملكية والنسطورية واليعقوبية مختلفون في تفسيرها ؛ فكل منهم يقول ما يظن أنه أقرب من غيره ،فمنهم من يراعي لفظ أمانتهم وإن صرح بالكفر الذي يظهر فساده لكل أحد كاليعقوبية، ومنهم من يستر بعض ذلك كالنسطورية، وكثير منهم وهم الملكانية بين هؤلاء وهؤلاء.

والأمر الثاني الذي يتضح به تناقضهم : وهو اختلاف فرقهم في تفسير التثليث وما يتعلق به من عقائد ؛ فيظهر في اختلافهم في الاتحاد(١٢٧) فمنهم من فسره بالاختلاط والامتزاج، ومنهم من قال بأن الكلمة انقلبت لحماً ودماً، ومنهم من قال بل المراد بظهور اللاهوت على الناسوت كظهور الصورة في المرآة والنقش في الخاتم(١٢٨) .

واختلفوا في المسيح ؛ فقالت النسطورية: بأن المسيح جوهران أقنومان قديم ومحدث واتحاده إنما هو بالمشيئة فمشيئتهما واحدة .

وقالت اليعقوبية لما اتحد صار الجوهران –الجوهر القديم والجوهر المحدث– جوهراً واحداً (١٢٩) .

والملكية يقولون : أنه جوهر أقنوم واحد – كما سبق– .

واختلفت فرق النصارى في تحديد الأقانيم ؛ فأكثرهم يقول : الأب هو الوجود والابن هو الكلمة وروح القدس هو الحياة ،ومنهم من يقول : بل الأب هو الوجود والابن هو الكلمة وروح القدس هو القدرة ،وبعضهم يقول : إن الأقانيم الثلاثة: جواد حكيم قادر، كما يقول بعضهم ناطق، ومنهم من يقول قائم بنفسه حي حكيم؛ قال ابن تيمية: (وقد رأيت في كتب النصارى هذا وهذا وهذا) (١٣٠).

ومن اختلافات النصارى: اختلافهم في العلاقة بين الجواهر والأقانيم؛ فذهبت اليعقوبية والنسطورية إلى أن الجوهر ليس غير الأقانيم، ولا يقال إنه هي، وصرحت الملكانية بأنه غير الأقانيم، وآخرون قالوا : هو الأقانيم (١٣١) .

أما تناقض أقوال النصارى وجمعهم بين القولين المتناقضين ؛ فلا شك أن أعظمها أنهم يقولون : إنما نثبت إلهاً واحداً ؛ثم يقولون في أمانتهم وأدلتهم وغير ذلك من كلامهم ما هو صريح بإثبات ثلاثة آلهة .

ففي أمانتهم قولهم (نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد إله حق من إله حق من جوهر أبيه مساوٍ الأب في الجوهر) وهذا تصريح بالإيمان بإلهين أحدهما من الآخر وهو مساوٍ له في الجوهر، والمساوي ليس هو المساوى،ولا يساوي الأب في الجوهر إلا

جوهر،

ثم قالوا عن روح القدس (مسجود له) فأثبتوا ثلاثة آلهة وهم يقولون : إنما نثبت إلهاً واحداً؛ وهذا تناقض ظاهر وجمع بين النقيضين بين الإثبات والنفي؛ قال ابن تيمية: ولهذا قال طائفة من العقلاء: إن عامة مقالات الناس يمكن تصورها إلا مقالة النصارى وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوروا ما قالوا بل تكلموا بجهل، وجمعوا في كلامهم بين النقيضين(١٣٢) .

ومن تناقضهم : قولهم عن الله إنه جوهر لا يقبل عرضاً ،ثم إنهم قالوا أنه موجود حي ناطق، قال ابن تيمية: فيقال لهم: حياته ونطقه لا يقومان بأنفسهما بل بغيرهما فهما من الأعراض، فتبيّن أنه عندهم جوهر تقوم به الأعراض مع قولهم: إنه جوهر لا يقبل عرضاً (١٣٣)

وبيّن تناقضهم وبطلان قولهم في هذه القضية بوجه آخر، وذلك بأن وجّه لهم سؤالاً عن الابن القديم الأزلي، الذي تجسد ونزل هل هو جوهر أم عرض؟ فلا يخلو الأمر من أحد أجوبة ثلاثة :

أولها أن يقولوا إنه جوهر وهذا تصريح بإثبات جوهرين ويكون روح القدس جوهراً ثالثاً، وهنا يبطل قولهم إنه إله واحد؛

وثانيها: أن يقولوا بل هو عرض،فيبطل قولهم إنه جوهر لا تقوم به الأعراض.

والاحتمال الأخير ألا يسلموا أحد الوجهين السابقي،ن ويصروا على قولهم بأنه جوهر واحد لا تقوم به الصفات بحال، فهنا يبطل قولهم: له حياة ونطق وإذا نفوا الصفات أبطلوا التثليث والاتحاد وبطلت أمانتهم (١٣٤).

ومن تناقضهم في الاتحاد أنهم قالوا في أمانتهم عن عيسى (إنه تجسد من مريم ومن روح القدس)، ثم قالوا إن المتحد به أقنوم الكلمة وهو العلم،فإن كان قد تجسد من مريم وأقنوم الكلمة، لم يكن تجسد من روح القدس ،وان كان من الكلمة وأقنوم الكلمة كان المسيح أقنومين، والنصارى بفرقهم الثلاثة كلهم يقولون : إن المتحد به أقنوم الكلمة قد تجسد من اقنوم الروح، ولا يقولون أقنومان بل أقنوم واحد.(١٣٥)

ثم تعرض ابن تيمية –رحمه الله– إلى ذكر تناقض قول الملكية في الاتحاد، وذلك في تجويزهم حلول الموت والصلب والأكل والشرب بأحد الجوهرين دون الآخر،ولم يجوزوا حين الولادة أن تلد مريم أحد الجوهرين دون الآخر (وهل هذا إلا من تناقضهم) فتجويز أحدهما ومنع الآخر تناقض، [١٣٦] والنصارى يقولون إن المسيح هو الكلمة وهو الخالق؛ لأن الكلمة والذات شيء واحد، ثم يقولون المتحد بالمسيح هو الكلمة، والمتحد عندهم هو الخالق، فيجب أن يكون هو الأب،وهم لا يقولون : المتحد الحال هو الأب بل هو الابن، ويقولون مع ذلك : إنه – أي الإله – لم يتبعض ولم يتجزأ وهذا من تناقضهم .[١٣٧].

وفي قولهم عن الله (إنه لا يتبعض ولا يتجزأ) مناقضة لما ذكروه في أمانتهم[١٣٨] وكذلك للأمثلة التي يمثلون بها ؛ فإنهم يمثلونه بشعاع الشمس والشعاع يتبعض ويتجزأ وهو قائم بالأرض والهواء وكل منهما متجزئ متبعض وما قام بالمتبعض فهو متبعض ؛ فإن الحال يتبع المحل [١٣٩] . وما ذكروه لا يطابقه شيء من الأمثلة ؛لأنه كلام باطل متناقض يمتنع تحققه فلا تمثيل بشيء من الموجودات الثابتة إلا كان تمثيلاً غير مطابق.[١٤٠]

كذلك من تناقضهم قولهم عن المسيح إنه خالق كل شئ ،وإنه كلمة، ثم يقولون كلمة الله التي بها خلق الله الخلق، ومعلوم أن الخالق ليس هو المخلوق به، والمخلوق به ليس هو الخالق [١٤١]

ثم ذكر ابن تيمية أن من تناقضهم ؛ قولهم أن روح القدس الذي هو أحد الأقانيم الثلاثة هو الناطق في الأنبياء ؛ ومع ذلك فلم يقولوا في غير المسيح من الأنبياء أنه صار ناسوتاً ولاهوتاً ، وقد أثبتوا لهم ما ثبت للمسيح من حلول روح القدس فيهم ،ومع ذلك لم يقروا لهم بالاتحاد أو الحلول وهذا من تناقضهم.[١٤٢]

ثم بيَّن ابن تيمية أنه لما كان قول النصارى في التثليث متناقضاً في نفسه لا حقيقة له صار مجرد تصوره التام كافياً في العلم بفساده من غير احتياج إلى دليل ؛وقد سلك بعض العلماء الذين ردوا عليهم هذا المسلك وقالوا : إن النصارى ناقضت في اللفظ وأحالت في المعنى فلا يجوز أن يعتقد ما يدعون انتحاله لتناقضه ؛ وذلك أنهم يزعمون أن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة، وهذا لا يصح اعتقاده؛ وإذا كان كذلك فتناقضه أظهر من أن

يحتاج فيه إلى دلالة [١٤٣].

وأشار ابن تيمية إلى أن سبب تناقض النصارى في أقوالهم أنهم يتكلمون بالتوحيد وبما يناقضه، وبالكفر وبما يناقضه،فيجمعون بين قولين متناقضين أحدهما حق والآخر باطل، فمن قال الحق ونفى الباطل لعنه النصارى،ومن قال الباطل ونفى الحق لعنوه أيضاً ،وبيّن أن كل قول يتضمن جمع النقيضين أو إثبات الشيء ونفيه أو رفع النقيضين فهو قول باطل.[١٤٤]

المبحث الثالث:اعترافهم بعدم وجود أدلة من الكتب السماوية على التثليث

سبقت الإشارة إلى أن النصارى يعترفون بأن كلمة التثليث أو الثالوث لم ترد في الكتب المقدسة عندهم .[١٤٥]

وهذا ما أكد عليه ابن تيمية؛ فذكر أن قولهم بالأقانيم والاتحاد لم ينطق به عندهم كتاب ،فلا يوجد هذا اللفظ في شيء من كتب الأنبياء التي بأيديهم، ولا في كلام الحواريين، كذلك تسمية حياة الله روح القدس وتسمية علمه وكلمته ولداً أو ابناً، ولا ما ذكروه في عقيدة إيمانهم من إثبات إله حق من إله حق،ولا حلول ذات أو صفة بل (جميع ما أثبتوه من التثليث والحلول والاتحاد ليس في كتب الأنبياء التي بأيديهم ما يدل عليه).[١٤٦]

وقال أيضاً (لم ينطق لا الإنجيل ولا شيء من النبوات بأن الله ثلاثة أقانيم، ولا خص أحد من الأنبياء الرب بثلاث صفات دون غيرها،ولا قال المسيح ولا غيره : إن الله هو الأب والابن وروح القدس، ولا إن له أقنوماً هو الابن وأقنوماً هو روح القدس،ولا قال: إن الابن كلمته أو علمه أو حكمته أو نطقه،وأن روح القدس حياته،ولا صفة من صفاته ابناً ولا ولداً،ولا قال عن شيء من صفات الرب: إنه مولود، ولا إنه جعل القديم الأزلي مولوداً،ولا قال لا عن قديم ولا مخلوق إنه إله حق، ولا قال عن صفات الله : إنها آلهة، وإن الكلمة إله،والروح إله، ولا قال : إن الله اتحد لا بذاته ولا بصفاته بشيء من البشر؛ بل هذا كله مما ابتدعوه)[١٤٧].

وبيّن ابن تيمية أن ما ينقله النصارى عن الأنبياء لا تتم الحجة به إلا إذا علم إسناده ومتنه ؛ فيعلم أنه منقول عنهم نقلاً صحيحاً،وأن ترجمته من العبرية إلى اللسان الآخر

كالرومية والعربية والسريانية ترجمة صحيحة،ويعلم بعد ذلك أنهم أرادوا به ذلك المعنى؛ ثم قال: (ليس مع النصارى حجة عن الأنبياء تثبت فيها هذه المقدمات الثلاث)[١٤٨] .

ثم تعرض للأناجيل الأربعة المعتبرة عند النصارى؛ وبيّن أنها لم تتواتر عن الذين كتبوها،بل لم يكن أحد من النصارى يحفظها كلها فضلاً عن أن يحفظها كلها أهل التواتر، وأشار إلى أنه بعد انتشار النصارى وكثرتهم وتفرقهم في الأقاليم، لا يكاد يوجد منهم من يحفظها عن ظهر قلبه .[١٤٩]

ثم تعرض لقضية الترجمة وأوضح أن ما وجدوه من النسخ التي بغير العبرية- لسان بني إسرائيل- فإنه لا تعرف صحتها إن لم تعرف صحة الترجمة .

وأشار إلى أن مؤلفي اثنين من الأناجيل المعتبرة،وبعض الرسائل من الحواريين، وهم – على ما ظهر عليهم من الكرامات التي يذكرها النصارى – غير معصومين؛ لأنهم ليسوا بأنبياء حتى عند النصارى وإن سموهم رسلاً فهم رسل المسيح لا رسل الله تبارك وتعالى.

وذكر بعد ذلك أن نسخ التوارة والإنجيل والزبور والنبوات مختلفة متناقضة؛ وهذا يؤكد تعرضها للتحريف مما ينفي الثقة عنها.[١٥٠]

وبيّن ابن تيمية أن جميع ما عندهم من النصوص الصحيحة لا يدل على مذهبهم البتة نصاً،ومعلوم أن أصول الإيمان التي يكفر من خالفها لا بد أن تكون معلومة عندهم عن الأنبياء،والعلم لا يحصل بلفظ محتمل، بل لا بد أن يكون اللفظ صريحاً على ما يدل عليه.

وأصرح ما عندهم مما يزعمونه دالاً على التثليث هو قوله: (عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس) [١٥١] وهذا النص – على فرض صحته- لا يدل نصاً ولا ظاهراً على التثليث، ولا على ما يدعيه النصارى من الأقانيم الثلاثة، لما سبق من أنه لم يعرف عن أحد من الأنبياء أنه سمى علم الله ابناً وحياته روح قدس،ولما سيأتي من المعنى الذي أطلق عليه لفظ الابن وروح القدس .[١٥٢]

المبحث الرابع: بيان مخالفته للشرع الموجود بأيديهم وأيدي غيرهم

أوضح ابن تيمية في معرض رده على النصارى في قولهم بالتثليث والاتحاد؛ أن الكتب

الإلهية ناطقة بتنزيه الله تعالى عن صفات النقص وعن الأفعال المذمومة، وأنها أثبتت لله تعالى صفات الكمال والأسماء الحسنى، قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ{٢٢}هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ{٢٣}هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾{الحشر ٢٢ـــ ٢٤} فأسماؤه تعالى لا تنحصر في ثلاثة أسماء كذلك صفاته تعالى لا تعد ولا تحصى لا كما زعم النصارى أنها ثلاث صفات.

ثم ذكر أن اتخاذ الولد – في حقه سبحانه- من صفات النقص ؛ لذا نزّه الله سبحانه وتعالى نفسه عن ذلك فقال: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ{٢٦} لَا يَسْبِقُونَـــــــهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾{الأنبياء٢٦،٢٧}.

وأشار ابن تيمية – رحمه الله- إلى أن الله كما نفى عن نفسه اتخاذ الولد نفى عن نفسه الولادة [١٥٣]؛ فقال تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ {٥١} وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾{الصافات ١٥١،١٥٢}

وقال تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾{الإخلاص ٣}

واستدل بقوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ﴾ {الشورى ٥١} على بطلان ما ذهب إليه النصارى في الاتحاد ؛ ذلك أنه إذا امتنع أن يكلم الله أي بشر إلا وحياً أو من وراء حجاب فامتناع أن يتحد الله بأي بشر أو يحل فيه أولى وأحرى؛ فإن ما اتحد به وحل فيه كلمه من غير حجاب بين اللاهوت والناسوت.

ثم إن النصارى عندهم أنهم لا يرون الله في الدنيا ؛ ففي التوراة: إن الإنسان لا يمكنه أن يرى الله فيعيش [١٥٤] .

وكذلك قال عـــيسى لما سألوه عن رؤية الله فقال: إن الله لم يره أحد قط [١٥٥] .

وهذا أمر معروف عندهم فلو كان عيسى هو الله كما يقولون لكانوا قد رأوا الله في الدنيا وهم ينكرون هذا) [١٥٦].

وفي أناجيلهم نصوص كثيرة صريحة ترد على دعواهم في التثليث والحلول والاتحاد؛ ذكر منها ابن تيمية قول المسيح لما سئل عن علم الساعة: (لا يعلمها إنسان ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الأب فقط)(١٥٧) .

قال ابن تيمية : فنفى عن نفسه علم الساعة، وهذا يدل على شيئين : على أن اسم الابن إنما يقع على الناسوت دون اللاهوت، فإن اللاهوت لا يجوز أن ينفى عنه علم الساعة، ويدل على أن الابن لم يكن يعلم ما يعلمه الله، وهذا يبطل قولهم بالاتحاد فإنه هو الله عندهم، والناسوت لا يتميز عندهم عن اللاهوت فيما يوصف به المسيح من كونه عالماً قادراً يحي ويميت.(١٥٨)

ولما نقل من رسالة الحسن بن أيوب؛ أثبت ما ذكره من النصوص التي يرد بها على النصارى وهي في كتبهم المقدسة، والتي تفيد أن المسيح نبي من أنبياء الله كان يدعو الله ويتضرع إليه ويعترف له بالربوبية ويقر له بالعبودية ؛ وكان من تلك النصوص أن المسيح أراد أن يحيي رجلاً يقال له لعازر؛ فقال: (يا أبي أدعوك كما كنت أدعوك من قبل فتجيبني تستجيب لي وأنا أدعوك) (١٥٩).

وقال المسيح :(إنكم متى رفعتم ابن البشر فحينئذ تعلمون أني أنا هو وشيء من قبل نفسي لا أفعل ولكن كل شيء كالذي علمني أبي)(١٦٠)(١٦١).

المبحث الخامس : بيان عدم اختصاص المسيح لما زعموا من الأدلة والألفاظ مثل كونه ابنا وغير ذلك وإطلاقها على غيره .

ذكر ابن تيمية أن عمدة النصارى فيما ادعوه من التثليث ؛ هو ما يوصف به المسيح عندهم من كونه ابن الله ،وكون الله حلّ فيه أو ظهر أو سكن ،وكون روح القدس أو روح الله حلت فيه ،وكونه مسيحاً؛ وكل ذلك موجود عندهم في حق غير المسيح ؛فليس للمسيح اختصاص بشيء من هذه الألفاظ.(١٦٢)

فمثل هذه الألفاظ أطلقت على غيره من الأنبياء ؛بل وحتى الحواريين عندهم أن المسيح قال لهم: إن الله أبي وأبيكم ،إلهي وإلهكم (١٦٣)، وقالوا عنهم: إن روح القدس تحل

فيهم.[١٦٤]

وعندهم في التوراة أن الرب قال لموسى : اذهب إلى فرعون فقل له : يقول لك الرب : إسرائيل ابني بكري أرسله يعبدني فإن أبيت أن ترسل ابني بكري قتلت ابنك بكرك، فلما لم يرسل فرعون بني إسرائيل كما قال الله، قتل الله أبكار فرعون وقومه، من بكر فرعون الجالس على السرير إلى الأول من الأولاد الآدميين، إلى ولد الحيوان البهم[١٦٥] .

وفي مزامير داود ؛ يقول الله مخاطباً داود (أنت ابني سلني أعطك)[١٦٦].

وقال داود النبي ﷺ (روحك القدس لا تترع مني)[١٦٧].

فروح القدس لفظة موجودة في غير موضع من الكتب التي عندهم وليس المراد بها حياة الله باتفاقهم ؛ بل روح القدس عندهم تحل في إبراهيم وموسى وداود وغيرهم من الأنبياء والصالحين؛ ويراد بها إما الملك المقدس كجبريل، أو قد يراد الوحي والهدى والتأييد الذي يترله الله بواسطة الملك أو بغير واسطته ، وقد يكونان متلازمين[١٦٨].

فإذا ثبت هذا اللفظ في حق غير المسيح ؛ علم أن الروح التي كانت في المسيح من هذا الجنس ؛ وإن أصروا على أن المراد بها حياة الله ومن حلّت فيه يكون لاهوتاً ولزم أن يكون إلهاً ،فيلزم أن يكون كل هؤلاء فيهم لاهوت وناسوت وهذا أمر ينكرونه.

كذلك إن كان إطلاق لفظ الابن يقتضي الحلول أو الاتحاد وجب أن يكون كل من أطلق عليه هذا اللفظ إلهاً ؛فيكون الحواريون بل وأبناء إسرائيل كلهم قد حل اللاهوت فيهم واتحد مع الناسوت ؛ فليس للمسيح اختصاص في كلام الأنبياء توجب أن يكون هو الله أو ابن الله[١٦٩]

وإنما اختص المسيح بلفظ الكلمة وكونه تجسد من روح القدس ، وهذا هو الذي خصه به القرآن ؛ فإن الله تعالى قال : ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾{النساء١٧١} وخص بأنه كلمة من الله لأن الله خلقه بـــ (كن) ، وفي لغة العرب التي نزل بها القرآن – كما سيأتي– يسمى المفعول باسم المصدر ؛ فيسمى المأمور أمراً والمقدور قدرة وقدراً والمرحوم به رحمة وهكذا، فعيسى عليه الصلاة

والسلام خلق بالكلمة فلذلك خص باسم الكلمة لأنه لم يخلق على الوجه المعتاد الذي خلق عليه غيره.

كذلك قوله (وروح منه) لأنه نفخ في أمه من الروح ، فحبلت به من ذلك النفخ ، وذلك غير روحه التي يشاركه فيها سائر البشر(١٧٠).

المبحث السادس : احتكام ابن تيمية إلى اللغة (لغة العرب ولغتهم) وحملة للنصوص المتشابهة على المحكمة .

أكَّد ابن تيمية – رحمه الله- في معرض مناقشاته للنصارى على أن أنبياء الله معصومون لا يقولون إلا الحق ، وإذا قالوا قولاً فلا بد له من معنى صحيح، وإذا نقل عنهم نص فينظر ماذا أرادوا بهذا النص وذلك بالنظر في سائر كلامهم؛ فيحمل كلام الأنبياء عليهم السلام على معنى لغتهم التي جرت عاداتهم بالتكليم بها ، لا على لغة يحدثها من بعدهم ويحمل كلامهم عليها؛ بل إذا كان لبعض الناس عادة ولغة يخاطب بها أصحابه وقدر أن ذلك يجوز له فليس له أن يجعل ذلك لغة النبي ويحمل كلام النبي على ذلك.

فمعرفة اللغة التي خاطب بها الأنبياء أقوامهم وحمل كلامهم عليها أمر واجب متعين، ومن سلك غير هذا المسلك فقد حرف كلامهم عن مواضعه وكذب عليهم وافترى (١٧١) .

وأنه إذا وجد لفظ له معنى في كلام بعض الأنبياء ،و لم يوجد له معنى يخالف ذلك من كلامهم، كان حملة على ذلك المعنى أولى من حملة على معنى يخالف كلامهم(١٧٢) .

وذكر ابن تيمية أن عمدة النصارى على ما ذهبوا إليه من التثليث هو ما زعموا من قول المسيح (عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس)(١٧٣) .

وبيّن أنه إن صحت هذه العبارة عن المسيح ــ عليه السلام ــ فإنه أراد بذلك ما يناسب سائر كلامه ، وما وجد في كتبهم – كما سبق- من تسمية الرب أباً وتسمية عباده أبناء ؛ فالمراد بذلك أنه الرب المربي الرحيم فإن الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها.

والابن هو المربَّى المرحوم؛ فإن تربية الله لعبده أكمل من تربية الوالدة لولدها ؛ ولفظ الابن يعبر به عمن كان هو سبباً في وجوده كما يقال : ابن السبيل لمن ولدته الطريق لأنه لما

جاء من جهة الطريق جعل كأنه ولده ، ويقال لبعض الطير ابن الماء لأنه يجيء من جهة الماء، ويقال : كونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ،فإن الابن ينتسب إلى أبيه ويحبه ويضاف إليه أي كونوا ممن ينتسب إلى الآخرة ويحبها ويضاف إليها فيكون المراد بلفظ الابن المحبة والاصطفاء والرحمة له.

وأما روح القدس فهي لفظة موجودة في غير موضع من الكتب التي عندهم، وليس المراد بها حياة الله باتفاقهم بل قد يراد بها الملك المقدس كجبريل،أو يراد بها الوحي والهدى والتأييد الذي يترل بواسطة الملك أو بغير واسطته ،وقد يكونان متلازمين فإن الملك يترل بالوحي ، والوحي يترل به الملك، والله يؤيد رسله بالملائكة وبالهدى.

فيكون معنى النص السابق : مروا النَّاس أن يؤمنوا بالله وبنبيه الذي أرسله وبالملك الذي أنزل عليه الوحي الذي جاء به، فيكون ذلك أمراً لهم بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله.

وهذا التفسير – كما قال ابن تيمية– يوافق سائر ألفاظ الكتب التي عندهم ، ويوافق القرآن والعقل، وليس فيه تكلف، ولا هو من التأويل الذي هو صرف الكلام عن ظاهره إلى ما يخالف ظاهره؛ بل هو تفسير له بما يدل ظاهره عليه باللغة المعروفة والعبارة المألوفة في خطاب المسيح وخطاب سائر الأنبياء.(١٧٤)

وأما النصارى فقد فسروا الابن بالمولود القديم الأزلي الذي هو العلم أو الكلمة، وفسروا روح القدس بحياة الله.

وتفسيرهم هذا تفسير للفظ بما لم يستعمل هذا اللفظ فيه،لا في كلام أحد الأنبياء، ولا لغة أحد الأنبياء، وتركوا حمله على المعنى المعروف الذي يستعملونه دائماً ؛وهذا فعل من يحرف كلام الأنبياء ويفتري الكذب عليهم، فلا يعرف أن أحداً قط لا من الأنبياء ولا غيرهم سمى علم الله القائم به ابنه، ولا سمى علم أحد من العالمين القائم به ابنه. (١٧٥)

ولما اعترض على النصارى بأن لفظ الابن ثابت في حق غير المسيح – كما سبق – (١٧٦) قالوا : هو ابنه بالطبع وغيره ابنه بالوضع.

ورد عليهم ابن تيمية بأن الاشتراك على خلاف الأصل، وأن اللفظ إذا استعمل في عدة مواضع كان جعله حقيقة متواطئاً في القدر المشترك أولى من جعله مشتركاً اشتراكاً لفظياً بحيث يكون حقيقة في خصوص هذا أو يكون مجازاً في أحدهما ؛فالاشتراك والمجاز على خلاف الأصل، هذا بتقدير أن لفظ الابن وروح القدس استعمل في علم لله وحياته، فكيف إذا لم يوجد هذا الاستعمال؟، فتفسيرهم مخالف لظاهر اللغة التي خوطبوا بها ولظاهر الكتب التي بأيديهم.[١٧٧]

ثم ذكر ابن تيمية أن النصارى استدلوا على ما زعموا من الحلول والاتحاد بنصوص متشابهة ،تمسكوا بها وهي لا تدل على ما ذهبوا إليه؛ ومن تلك النصوص:

قالوا : أن أيوب قال : (روح الله خلقني وهو يعلمني)[١٧٨]

فبيّن ابن تيمية – رحمه الله- أن المراد بروح الله ملك من ملائكة الله اصطفاه الله وأحبه فأضافه إليه؛ ذلك أن المضاف إلى الله إن كان صفة لم تقم بمخلوق فهو مضاف إلى الله إضافة الصفة إلى موصوفها ؛ وإن كان عيناً قائمة بنفسها كان مخلوقاً مضافاً إلى خالقه ومالكه، لكن الإضافة تقتضي اختصاص المضاف بصفات تميز بها عن غيره حتى استحق الإضافة ؛ فيكون المعنى أن الملك صورني في بطن أمي وهو يعلمني؛ ولا يجوز أن يراد بروح الله : حياة الله ؛ ذلك أن الصفة لا تخلق ولا تعلم إنما يخلق ويعلم الرب الموصوف الذي خلق الإنسان وهو يخلق بواسطة الملائكة الذين هم رسل الله في الخلق ،فجاز أن يضاف الفعل إلى الوسائط تارة وإلى الرب أخرى [١٧٩].

وبيّن أن ما تمسك به النصارى من النصوص التي يسمى فيها المسيح : الإله أو الرب أو رب الملائكة، فإنه لا يدل على ما ذهبوا إليه من القول بالتثليث والاتحاد.

فلفظ الإله سمي به موسى كما في التوراة، أي أنه عظيماً مطاعاً وأما الرب فهو السيد المطاع؛ ورب الملائكة قد يراد به من يكون سيد الملائكة فتخدمه وتكرمه كما سجدت الملائكة لأبي البشر آدم عليه السلام [١٨٠]

وأما النصوص التي فهموا منها الحلول مثل: (إن الله يتراءى في الأرض ويختلط مع الناس ويمشي معهم) أو (الله بعد هذا في الأرض يظهر وينقلب مع البشر فيقـــــــول : أنا الله رب الأرباب) ؛ فقـــــد بيّن ابن تيمية أن معنى قوله يترآى : بمترلة يتجلى ويظهر، وقد ذكر في التوراة أنه تجّلى وترآى لإبراهيم– عليه السلام– (١٨١) وغيره من الأنبياء ـــ عليهم السلام ـــ من غير أن تكون ذاته حلت بأحد منهم، وما في القلوب من المثال العلمي و معرفته، ومحبته، وذكره، يطلق عليه ما يطلق على المعروف بنفسه، لعلم الناس أن المراد به المثال العلمي، وليس المراد به نفس المعروف المحبوب.

ومثَّل لذلك ابن تيمية بقول القائل: (الله في قلب فلان وفلان ما عنده إلا الله) و ليس مراد من قال هذا القول: أن ذات الله في قلبه، بل مثاله العلمي ومعرفته وذكره ومحبته، وأنه لا يعبد إلا الله، ولا يرجو إلا إياه،ولا يخاف إلا إياه، ولا يعمل إلا لله، ولا يأمر إلا بطاعته؛ فما قيل في المسيح – عليه السلام– وأمثاله من هذا فهو حق لكن لا اختصاص للمسيح بهذا

ثم ذكر أن النصارى ممن تركوا المحكم من الآيات واتبعوا المتشابه، فاشتبه عليهم المعلوم بالقلوب المذكور بالألسن، بالموجود في نفسه، فظنوا أن نفس المثال العلمي هو الوجود العيني.(١٨٢)

وتعرض للفظ الكلمة،وبيّن أنها في لغة العرب يراد بها الجملة المفيدة ،سواء كانت جملة اسمية أو فعلية، وهي القول التام،والكلام كذلك هو الجملة التامة، ونقل قول سيبويه (١٨٣): (واعلم أنهم يحكون بالقول ما كان كلاماً ولا يحكون به ما كان قولاً، ولكن النحاة اصطلحوا على أن يسموا ما تسميه العرب حرفاً يسمونه كلمة ؛مثل زيد وعمرو ومثل قعد وذهب وكل حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل مثل إن وثّم وهل ولعل). (١٨٤)

وذكر هذا رداً على النصارى الذين زعموا أن قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ {الصافات ١٧١} دال على ما ذهبوا إليه من أن الكلمة هو عيسى عليه السلام وبيّن أن الكلمة التي سبقت من الله تعالى هي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ {١٧٢} وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾. {الصافات ١٧٣،١٧٢}

المبحث السابع : تتبعه لجميع أمثلتهم وبيانه لبطلانها.

تتبع ابن تيمية – رحمه الله- في جوابه على النصارى أمثلتهم التي ضربوها لبيان مذهبهم في التثليث وما تفرغ عنه من القول بالحلول والاتحاد ؛ وبيّن رحمه الله بطلانها جميعاً وعدم دلالتها على ما ذهبوا إليه، لأن ما ذهبوا إليه لا حقيقة له بل هو ممتنع لذا فلا مثال له – كما لا دليل عليه- .

وكان من أعظم أمثلتهم وأكثرها تكراراً هو تمثيلهم التثليث بالشمس وشعاعها، فتارة يمثلون أقنوم العلم وأقنوم الحياة اللذين هما الكلمة وروح القدس بالضياء والحرارة التي للشمس مع الشمس،

وتارة يشبهونهما بشعاع الشمس ،ثم يقولون إذا قلنا الشمس وضوءها وشعاعها فلا يلزمنا القول بثلاث شموس،

ثم يمثلون الاتحاد – الذي زعموه – بشعاع الشمس المنبثق من الشمس فلم يفارق عين الشمس وملأ ضوؤه ما بين السماء والأرض فكذلك اتحد اللاهوت بالناسوت ولم يفارق الابن الأب ؛ وأنه كما لم تتغير الشمس مع مخالطتها للماء والطين ولم تتغير ولا تستحيل عن نورها فكذلك اللاهوت لم يتغير مع حلوله أو اتحاده مع الناسوت .[١٨٥]

هذه جملة أمثلتهم المتعلقة بالشمس وقد بيّن ابن تيمية بطلانها كما يلي :

فأما تمثيلهم لأقنوم العلم وأقنوم الحياة بالضياء والحرارة التي للشمس مع الشمس،فهو تمثيل فاسد لأنهم إن أرادوا بالضياء والحرارة ما يقوم بذات الشمس فهو صفة للشمس قائمة بها لم تحل بغيرها،وكذلك لم تتحد بغيرها، وإن أرادوا بالضياء والحرارة ما هو بائن عن الشمس كالشعاع القائم بالهواء والأرض والحرارة القائمة بذلك، كان قولهم فاسداً لأن هذه أعراض منفصلة عن الشمس قائمة بغيرها ، والكلمة وروح القدس عندهم جوهران قائمان بأنفسهما، ثم هذا الشعاع وتلك الحرارة القائمان بالهواء والجدران ليسا من صفات الشمس بل آثار حصلت بسببها ،وهذا نظير ما يقوم بقلوب الأنبياء من العلم والحكمة والوحي الذي أنذروا به ،وليس للمسيح عليه السلام اختصاص بذلك فما حلّ به حلّ بغيره فلا اختصاص له بأمر يوجب أن يكون إلهاً دون غيره من الرسل .[١٨٦]

وأما تمثيلهم لما زعموا من أن القول بالتثليث لا يضاد الوحدانية بالشمس وضوئها وشعاعها ،وأنه لا يلزم من ذلك القول بثلاثة شموس فهو تمثيل باطل – كما قال ابن تيمية– لأمور منها :

أن ضوء الشمس وشعاع الشمس ليس جوهراً من جوهر ولا هو مساوي للشمس وهم يقولون (إله حق من إله حق) .

ثم ضوء الشمس قد يراد به نفس الضوء القائم بها أو الشعاع المنفصل عنها القائم بالهواء والأرض،وهو مباين لها ومعلوم أن هذه ليستا شمساً قائمة بنفسها، وهم يقولون في حياة الله وعلمه أو كلامه أنها جواهر قائمة بنفسها لا صفات قائمة بالله.(١٨٧)

وأما تمثيلهم للاتحاد بشعاع الشمس الذي لم يفارق الشمس وقد ملأ كل مكان ، والشمس مع مخالطتها للطين والماء لم تتغير ولم تستحيل، فقد ذكر ابن تيمية : أن هذا التمثيل لو قدر أنه صحيح، فإنما يشبه من بعض الوجوه قول من يقول : إنه بذاته في كل مكان، وأما النصارى فإنهم يخصونه بناسوت المسيح دون سائر النواسيت ؛ على أنه لو مثل بهذا المثال من يقول : أنه بذاته في كل مكان لكان باطلاً فكيف بالنصارى؟ وبطلانه يتضح بالوجوه الآتية:

الأول : أن الشعاع حادث بائن من جرم الشمس وإن كانت سبباً في حصوله .

الثاني: أنهم يقولون إنه لم يفارق الشمس ،وهذا مكابرة للحس والعقل،ذلك أن الشعاع القائم بالهواء والأرض عرض لم يقم بالشمس قط، والشعاع الذي في بقعة ليس هو عين الشعاع الذي في البقعة الأخرى وإن كان نظيره. **الثالث**: أن تمثيلهم هذا باتحاد اللاهوت مع الناسوت باطل؛ ذلك أن الشمس نفسها لم تكن في الهواء والأرض وإنما شعاعها، والشمس لم تسكن في موضع صغير من الأرض كما زعموا في لاهوت الابن.(١٨٨)

ونفيهم للتغير والاستحالة وتمثيلهم لذلك بالشمس مع الماء والطين، وعدم تغيرها مع مخالطتها لذلك، باطل لأن جرم الشمس الذي في السماء لم يخالط شيئاً من الماء والطين ولا اتحد به ولا حلّ فيه، فإذا كانت الشمس نفسها لم تتحد ولم تختلط،فرب العالمين أولى أن يتره عن الاتحاد والاختلاط والحلول بشيء من المخلوقات، بل الذي حل بالماء والطين

هو:شعاع الشمس وهو منفصل عنها وقد حلّ و لم يتحد.

ثم إن الشعاع إنما يكون على سطح الماء أو الطين الظاهر فقط،لا ينفذ فيه ولا يتحد به.(١٨٩)

وكما أبطل ابن تيمية تمثيلـــــــهم بالشمـــــــس؛ أبطل تمثيلهم بالنار، وقولهم: لا يلزم إذا قلنا النار وحرها وضؤها ثلاث نيران .

فذكر أن قولهم باطل، ذلك أن ضوء النار وحرارتها ليسا جوهرين قائمين بنفسيهما،بل صفات قائمة بالنار، وهم قالوا في أقنوم العلم واقنوم الحياة أنهما جوهران قائمان بنفسيهما.

ومثلت النصارى الاتـــــــحاد بالجمـــــــرة المستحيلة من النار والحديد أو الخشب،وهذا مثال غير مطابق – كما وضح ذلك ابن تيمية- لوجوه منها:

أن الحديد والخشب وغيرهما إذا ألقي في النار فإنه يستحيل ناراً لاتصاله بالنار،فهو حادث عن هذه النار وليس إياها، وهنا استحال بلا حلول، ثم إن تلك الحديدة أو الخشبة إذا طرقت كان التطريق على النار وكذلك إذا ألقيت في الماء ،فلو كان هذا التمثيل مطابقاً لكان الضرب والصلب والإهانة وقع على اللاهوت كما وقع على الناسوت – وهذا قول اليعقوبية كما سبق وأنكره الملكية والنسطورية.

وهذه الجمرة المستحيلة من حديدة ونار أو خشبة ونار ليست حديدة محضة ولا ناراً محضة، بل جوهر ثالث مستحيل من حديد ونار كسائر ما يستحيل بالاتحاد والاختلاط إلى حقيقة ثالثة فيكون الإله مع الاتحاد ليس بإنسان تام ولا إله تام، لكنه شيء ثالث مركب من إنســـــــان استحال وتغير وإله استحال وتغير.(١٩٠)

ومثّل النصارى الاتحاد والحلول بروح الإنسان وبدنه، وأنهما مع ذلك جوهر واحد، ورد عليهم ابن تيمية بأنه يلزمهم أن يكون جوهراً واحداً ومشيئة واحدة، وهذا قول اليعقوبية فيلزم تألم اللاهوت بآلام البدن لأن النفس تتألم بتألم البدن،وتستحيل صفاتها بكونها في البدن فيلزم أن يكون اللاهوت مستحيلاً ومتغيراً لما اكتسبه من صفات الناسوت الذي هو عندهـــــــم بمترلة البـــــدن للنفس.(١٩١)

على أنه يلزم من مثالهم هذا التغير والاستحالة، لأن الجسد إذا خلا عن النفس فهو مثل قبل نفخ الروح فيه، فلا يقول عاقل إن جسد آدم قبل النفس وبعدها على صفة واحدة لم يتغير و لم يستحل ،وذريته من بعده يخلق أحدهم من نطفة ثم علقة ثم مضغة فيكون جسداً ميتاً، ثم ينفخ فيه الروح فيصير الجسد حياً بعد أن كان ميتاً، وهم يقولون بأن الإله لم يتغير و لم يستحل.

وفصلّ ابن تيمية في المراد بالروح وأنهم إن أرادوا بالروح الحياة،فليس هذا هو مفهوم الروح، وإن أرادوا الروح التي تفارق البدن ،فهذه جوهر قائم بنفسه، والإنسان مركب من الروح والبدن، فيكون الرب على قولهم مركب من بدن وروح، وليس هذا قول أهل الملل لا المسلمين ولا اليهود والنصارى ،وأما إذا أرادوا بالروح ما حل في المسيح من الوحي الذي هو الروح والنور،فلا اختصاص للمسيح بذلك،بل هذا يحل في جميع الأنبياء والمؤمني،ن وإن كانوا متفاضلين فيه بحسب درجاتهم .(١٩٢)

وشبهوا الحلول والاتحاد بحلول الماء في الظرف، ورد عليهم ابن تيمية ببطلان هذا المثل،ذلك أن الماء في الظرف وغيره من الأوعية محتاج إلى وعائه لو انخرق وعاؤه لتبدد وهو محيط به، والظرف لايتصف بشيء من صفات الماء،والرب تعالى يمتنع أن يحتاج إلى شيء من مخلوقاته لا إلى العرش ولا غيره ولا يحيط به شيء من الموجودات.

وفرق النصارى الثلاث يقولون بالاتحاد فلا ينفعهم هذا المثال.(١٩٣) وإذا قالوا بالاتحاد كما اتحد الماء باللبن ؛ قيل: لا بد مع ذلك أن تتغير كل قوة عما كانت عليه فتكسر الأخرى، وعلى هذا فيجب إذا اتحد اللاهوت مع الناسوت أن تتغير قوة اللاهوت وطبيعته ومشيئته عما كانت، وتنكسر قوة الناسوت وطبيعته ومشيئته عما كانت عليه، ويبقى هذا المتحد من لاهوت وناسوت، وذلك يستلزم نقص اللاهوت عما كان وبطلان كماله، كما أنه يوجب من كمال الناسوت ما لم يكن . (١٩٤)

وآخر أمثلتهم كان هو الكلمة التي قالوا : أنها مولودة من عقل الإنسان، وتكتب في قرطاس من غير أن تفارق العقل الذي منه ولدت، ولا يفارقها العقل الذي ولدها،فكذلك كلمة الله كلها في الأب الذي ولدت منه وكلها في نفسها، وكلها في الناسوت الذي حلّت

فيه ؛ فناقشهم ابن تيمية مبيناً فساد قولهم بتمثيلهم هذا وذلك من وجوه منها :

أن يقال : إن كان حلول كلمة الله – التي هي المسيح- في الناسوت مثل كتابة الكلام في القرطاس، فحينئذ يكون المسيح من جنس سائر كلام الله كالتوراة والزبور والإنجيل والقرآن، ومعلوم أن كلام الله المكتوب في القراطيس ليس هو إلهاً خالقاً وهو لا ينحصر في كلمة أو كلمتين، ولو قال قائل: يا كلام الله اغفر لي وارحمني، أو يا توراة أو يا إنجيل أو يا قرآن أغفر لي وارحمني، كان قد تكلم بكلام باطل عند جميع أهل الملل والعقلاء، والنصارى يقولون : المسيح إله خالق وهو يدعي ويعبد فكيف يشبهونه بكلام الله المكتوب في القراطيس.

ومنها : أن الكلام المكتوب صفة للمتكلم، يقرأ ويكتب في القراطيس، فهو صفة تقوم بموصوفها ليس جوهراً قائماً بنفسه، والمسيح عندهم لاهوته جوهر قائم بنفسه، وهو إله حق من إله حق وإله تام وإنسان تام ،فكيف تجعلون الإله الذي هو عين قائمة بنفسها كالصفة التي لا تقوم إلا بغيرها.

ومنها: أن وجود الكلام في القلب واللسان ليس هو عين وجوده مكتوباً في القرطاس، بل القائم بقلب المتكلم معان: طلب وخبر وعلم وإرادة، والقائم بنفسه حروف مؤلفة ،هي أصوات مقطعة، أو هي حدود أصوات مقطعة، و ليس في قلب الإنسان ولا فمه مداد كالمداد الذي في القرطاس ، بل لفظ الحرف يقال على الحرف المكتوب ؛ إما المداد المصور وإما صورة المداد وشكله ، ويقال على الحرف المنطوق ؛إما الصوت المقطع وإما هو الصوت ومنقطه وصورته بالبصر ،ولا يقول عاقل: إن هذا هو هذا، ولا يقال : إن هذا وهذا هو نفس المعنى القائم بقلب المتكلم فلا يصح قولهم.(١٩٥)

وكما قال ابن تيمية ــ رحمه الله ــ وكلما ضربوا له مثلا كان المثل حجة عليهم وظهر به فساد قولهم .(١٩٦)

المبحث الثامن : بيان أن ما ثبت للمسيح من الآيات فقد ثبت مثلها أو أعظم منها لغيره

أشار ابن تيمية- رحمه الله- في محاورته النصارى إلى أنهم يستدلون على إلهية المسيح بظهور الآيات على يده من إحياء للموتى وإبراء للأبرص وغير ذلك، وهذا لا يدل على ما ذهبوا إليه لظهور مثل هذه الآيات على يد غيره، بل وأعظم منها.

وذكر أن ما شوهد من الآيات منه ـــ عليه السلام ـــ إنما يدل على نبوته ورسالته كما دلت آيات غيره من الأنبياء على نبوتهم ورسالتهم لا على الإلهية.

فأعظم آيات المسيح عليه السلام كانت إحياء الموتى، وهذه الآية قد شاركه فيها غيره من الأنبياء كإلياس (١٩٧) وغيره (١٩٨)؛ بل كان من جملة آيات موسى عليه السلام العصا التي انقلبت فصارت ثعباناً مبيناً حتى بلعت الحبال والعصي التي للسحرة وكان غير مرة يلقيها فتصير ثعباناً ثم يمسكها فتعود عصا، وهذا أعظم من إحياء الموتى ذلك أن الإنسان إذا كان فيه حياة ثم مات ثم أحيي فقد عاد إلى مثل حاله ،أما انقلاب خشبة إلى حيوان ثم عودها خشبة مرة بعد مرة فهو أعجب من إحياء الميت.

كذلك إبراء الأبرص ثبت لغير المسيح (١٩٩) بل وأعجب منه إخراج موسى ليده بيضاء من غير برص ثم عودها إلى حالها الأول.

وما يذكر عن المسيح من قلب الماء خمراً (٢٠٠)أعجب منه قلب الماء وتحويله إلى زيت كما جاء عن اليسع (٢٠١) وكان من آيات موسى ضرب الحجر كل يوم وانفجار اثنتي عشر عيناً تكفي بني إسرائيل، وكان الله يطعمهم على يده المن والسلوى، مع كثرة بني إسرائيل، وهذا أعظم من إنزال المسيح عليه السلام للمائدة .

على أن موسى عليه السلام قد فلق الله له البحر حتى عبر فيه بنو إسرائيل، وغرق فرعون وجنوده وهذا أمر باهر فيه من عظمة هذه الآية ومن إهلاك الله لعدو موسى ما لم يكن مثله للمسيح،وكان لموسى في عدوه من القمل والضفادع والدم وسائر الآيات ما لم يكن مثله للمسيح، فلو كان المسيح هو اللاهوت الذي كلم موسى لكان يظهر قدرته أكثر مما أظهـــــــره على يد موسى (٢٠٢).

وإن قال النصارى: إن هؤلاء الأنبياء ليس لهم صنع في هذه الأفعال، وإن الصنع والقدرة لله عز وجل إذ كان هو الذي أجراها على أيديهم ؛ قيل لهم : وكذلك المسيح عليه

السلام ليس له صنع فيما ظهر على يديه بل الله هو الذي أظهرها وكان – كغيره من الأنبياء إذا أراد أن يظهر على يديه آية تضرع إلى الله واعـــترف له بالربوبية وأقر بالعبودية.(٢٠٣)

وذكر ابن تيمية – رحمه الله- أنهم إن استدلوا على اتحاد اللاهوت بالناسوت بالآيات والعجائب التي ظهرت على يد المسيح، فإن هذه العجائب إنما ظهرت عليه بعد تعميده مع أن الإله كان متحداً به قبل أن تظهر عليه تلك العجائب، وحينئذ فلا يلزم من عدم ظهور الآيات والمعجزات من شخص ما الجزم بأن الرب لم يتحد به،ويلزم أن كل حي وجامد ظهرت منه عجائب أن يكون ذلك دليلاً على أن الرب اتحد به ، وحينئذ فعباد العجل أعذر من النصارى ذلك أن خوار العجل عجيب منه، وجواز الاتحاد بالعجل أولى من اتحاده بالمضغة والجسم المقبور الذي لا روح فيه ،فاستدلال عباد العجل بذلك على أنه إله خير من استدلال النصارى على إلهية المضغة، إن كان ظهور الآيات يدل على الربوبيـــــــــة مع أنها لا تدل إلا على نبـــــــــوة المسيح عليه السلام.(٢٠٤)

المبحث التاسع: إنكاره عليهم الاستدلال بالآيات القرآنية وبيانه لبطلان صنيعهم

زعم النصارى في الرسالة التي عُني ابن تيمية بالرد عليها أن القرآن مؤيد لهم فيما ادعوه في المسيح، وساقوا - بزعمهم – آيات تدل على ما ذهبوا إليه من اعتقاد فرد عليهم ابن تيمية – رحمه الله- بردود إجمالية تتلخص فيما يلي:

الأول : أنهم ابتدعوا القول بالتثليث قبل بعثة محمد ﷺ ولم يكن لهم – كما سبق ذكره- في دعواهم هذه مستند عقلي ولا سمعي عن الأنبياء قبل محمد ﷺ، فكيف يكون لهم مستند فيما جاء به محمدﷺ .(٢٠٥)

الثاني : أن القرآن قد جاء به محمد ﷺ – من الله تعالى ـــ وقد تواتر عنه ﷺ أنه أخبر أنه مرسل إليهم، وأنهم كفار إذا لم يؤمنوا به،مستحقون للجهاد،ومن لم يستحل جهادهم فهو كافر، والقرآن مملوء بكفرهم ؛ فمتى كانت كلمة من كلمات هذا الكتاب كذباً على الله لم يكن كتاب الله، ولم يكن الذي جاء به رسول الله ، لأن الله تعالى لا يرسل من يكذب عليه، وحينئذ يظهر تناقضهم فمتى كذبوا بكلمة واحدة مما في القرآن لم يصح

استشهادهم واستدلالهم بشيء منه، وإن صدقوا به لزمهم الإيمان به واتباع شريعته، والاعتراف بكفر الذين يقولون : إن الله هو المسيح ابن مريم وإن الله ثالث ثلاثة [٢٠٦].

الثالث: أن دعواهم على محمد ﷺ أنه أثبت في المسيح اللاهوت والناسوت كما يزعمه النصارى ،هي من الكذب الواضح المعلوم على محمد ﷺ الذي يعلم من دينه بالاضطرار ، وقد أخبر ﷺ فيما بلغه عن الله عز وجل بكفر من قال ذلك ؛ وساق ابن تيمية آيات عديدة تصرح بكفر النصارى،منها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ {٧٢} لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ {المائدة،٧٢،٧٣} وغيرها من الآيات.[٢٠٧] وأما ما استدلوا به من الآيات زعماً منهم أنها تدل على مذهبهم ؛ فقد بيّن ابن تيمية أن جميع ما يحتجون به من الآيات حجة عليهم لا لهم ، وهكذا شأن جميع أهل الضلال والمبتدعة إذا احتجوا بنص من الشرع ففي نفس ما احتجوا به ما يدل على فساد قولهم،وذلك لعظمة كتب الله المترلة فقد جعلها الله هدى وبياناً للخلق وشفاء لما في الصدور، فلا بد أن يكون فيها ما يفرق الله به بين الحق والباطل والصدق والكذب؛

ومن الآيات التي استدلوا بها ما جاء في القرآن من وصف المسيح عليه السلام بأنه كلمة من الله وأنه روح منه؛ وذلك كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾{النساء ١٧١} قالوا: (إنه قد شهد أنه إنسان مثلنا بالناسوت الذي أخذ من مريم، وأما اللاهوت في وصفه بأنه كلمة الله وروحه الخالقة،وأنه أشار بقوله ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ {النساء١٥٧}إلى اللاهوت الذي هو كلمة الله التي لم يدخل عليها ألم وقال ﴿ وما قتلوه يقيناً . بل رفعه الله إليه﴾{النساء١٥٧} فأشار بهذا إلى اللاهوت الذي هو كلمة الله وقال أيضاً: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾{آل عمران ٥٥} فموته هو موت الناسوت الذي أخذ من مريم العذراء ، وعلى هذا القياس

نقول : إن المسيح صلب وتألم بناسوته و لم يصلب ولا تألم بلاهوته.

فبيّن ابن تيمية – رحمه الله- أن الآية الأولى التي استدلوا بها تبطل ما زعموه من التثليث بوجوه عديدة؛ذلك أن الله تعالى قال : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً {٧١} لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعًا ﴾ {النساء ١٧١،١٧٢} فقد نهى النصارى عن الغلو في دينهم وبيّن أن (المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ورح منه) وأمرهم أن يؤمنوا بالله ورسله؛ فبيّن أنه رسوله ونهاهم أن يقولوا ثلاثة، وقال تعالى : ﴿ انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد﴾ وهذا تكذيب لقولهم في المسيح إنه إله حق من إله حـــــــق من جوهـــــر أبيـــــــه ثم قال تعالى : ﴿ سبحانه أن يكون له ولد﴾ فتره نفسه وعظمها أن يكون له ولد كما تقول النصارى، ثم بيّن أن المسيح والملائكة المقربين لله لن يستنكفوا أن يكونوا عبيداً لله تعالى فهل يظن ظان – كما يقول ابن تيمية- بعد هذا البيان الجلي أن مراده بقوله وكلمته أنه إله خالق،أو أنه صفة لله قائمة به، وأن قوله وروح منه المراد به أنه حياته أو روح منفصلة عن ذاته؛ بل معنى قوله: ﴿ وكلمته ﴾ انه خلقه بـــ (كن) وفي لغة العرب التي نزل بها القرآن يسمى المفعول باسم المصدر فيسمى المخلوق خلقاً لقوله تعالى : ﴿هذا خلق الله﴾ {لقمان ١١} .

وأما تسميته بأنه روح من الله فإنه خص بذلك لأنه نفخ في أمه من الروح فحبلت به من ذلك النفخ، والروح الذي أرسله الله إلى أمه ليهب لها غلاماً زكياً مخلوق، وهو روح القدس فإذا كان الأصل مخلوقاً وهو روح القدس فكيف الفرع الذي حصل به؛ فهو – عليه السلام- لما خلق من نفخ الروح ومن مريم سمي روحاً بخلاف سائر الآدميين فإنهم يخلقون من ذكر وأنثى ثم ينفخ فيهم الروح بعد مضي أربعة أشهر .[٢٠٨]

ومثلما استدل ابن تيمية على بطلان مذهب النصارى بهذه الآية التي زعموا أن فيها

ما يدل على مذهبهم وأوضح أن كل كلمة في هذه الآية دالة على بطلان قولهم ؛ كذلك فعل في الآية الثانية، وهي قوله تعالى ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا {١٥٧} بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا {١٥٨} وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ {النساء ١٥٧،١٥٨،١٥٩}.

فذكر ابن تيمية – رحمه الله– أن هذه الآيات في سياق ذم اليهود بأشياء، ومنها قولهم: (إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله)، فقال تعالى: ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ ، فأضاف الله تعالى القول إلى اليهود، وذمهم عليهم، و لم يذكر النصارى لأن الذين تولوا صلب المصلوب المشبه به هم اليهود، و لم يكن أحد من النصارى شاهداً معهم ، بل كان الحواريون خائفين غائبين فلم يشهد أحد منهم الصلب، وإنما شهده اليهود وهم الذين أخبروا الناس أنهم صلبوا المسيح، والذين نقلوا أن المسيح صلب من النصارى وغيرهم ؛ إنما نقلوه عن أولئك اليهود، وهم شُرط من أعوان الظَّلَمة ، لم يكونوا خلقاً كثيراً يمتنع تواطؤهم على الكذب، فنفى الله تعالى عنه القتل ثم قال: ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ أي أن اليهود والنصارى يؤمنون بالمسيح قبل موت المسيح ، وذلك إذا انزل في آخر الزمان آمنت اليهود والنصارى بأنه رسول الله ليس كاذباً كما يقول اليهودي، ولا هو الله ،كما تقوله النصارى، فمن كان موجوداً منهم حين نزوله فإنه لا يختلف عن الإيمان به ، وهذا بيان أن الله رفعه حياً وسلمه من القتل، واليهود الذين زعموا أنهم قتلوه لم يدعوا قتل لاهوت ،ولا أثبتوا له لاهوتاً أصلا، فهم لا يثبتون إلا ناسوتاً ،وقد زعموا أنهم قتلوه وإنما هو الناسوت.[٢١٠]

[٢٠٩]

وأما قوله تعالى: ﴿ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ {آل عمران ٥٥} فهي بيان أن الله رفعه حياً وسلمه من القتل لقوله: ﴿ ومطهرك من الذين كفروا﴾ ولو مات لم يكن فرق بينه وبين غيره ، فإن الله لم يذكر عن المسيح أنه مات أو قتل – كما يزعم النصارى – بل جاء لفظ التوفي الذي يراد به في لغة العرب الاستيفاء

والقبض ،وهو ثلاثة أنواع : أحدها توفي النوم، والثاني توفي الموت، والثالث توفي الروح والبدن جميعاً ؛فإنه بذلك خرج عن حال أهل الأرض الذين يحتاجون إلى الأكل والشرب واللباس، فالمسيح توفاه الله وهو في السماء الثانية إلى يترل إلى الأرض، وليست حاله كحال أهل الأرض في الأكل والشرب واللباس والنوم والغائط والبول، ولو كان المرفوع هو اللاهوت – كما يقولون- لكان رب العالمين قال لنفسه أو كلمته إني (رافعك إلي) فالمسيح عندهم هو الله ومن المعلوم أنه يمتنع أن يرفع نفسه إلى نفسه.(٢١١)

ووعد الله تعالى بجعل من آمن بالمسيح فوق من كفر به في قوله تعالى: ﴿ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾ لا يدل على ما ذهب إليه النصارى من زعمهم أن في هذه الآية شهادة لهم أن الله جعلهم فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، فقد ذكر ابن تيمية –رحمه الله- أن هذا وعد من الله وخبر ووعد الله صدق وخبره حق والله لا يخلف الميعاد ،فلما اتبع المسيح من آمن به جعلهم فوق الذين كفروا به من اليهود وغيرهم ، ثم لما بعث الله محمداً ﷺ صارت أمة محمد ﷺ أتبع للمسيح من النصارى الذين غيروا شريعته وكذبوه فيما بشر به إلى يوم القيامة، والنصارى بعد النسخ والتبديل ليسوا متبعين للمسيح ، لكنهم اتبع له من اليهود الذين بالغوا في سبه وتكذيبه ،وأمة محمد ﷺ هم المتبعون للمسيح عليه السلام وهم فوق اليهود والنصارى إلى يوم القيامة،فلم تنتصر النصارى قط على جميع المسلمين وإنما تنتصر على طائفة من المسلمين بسبب ذنوبهم ،ثم يؤيد الله المؤمنين عليهم ولو كان النصارى هم المتبعون للمسيح عليه السلام والمسلمون كفاراً به لوجب أن ينتصروا على جميع المسلمين.(٢١٢)

وزعم النصارى أن المسيح وصف بأنه الخالق في القرآن وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ {المائدة ١١٠} قالوا : فهذا يوافق رأينا واعتقادنا في السيد المسيح فأشار بالخالق إلى كلمة الله المتحدة بالناسوت) .

وقد فصّل ابن تيمية في الرد عليهم ؛وأجاب بأن الله تعالى لم يذكر عن المسيح خلقاً مطلقاً ولا خلقاً عاماً كما ذكر عن نفسه تبارك وتعالى مثل توله تعالى : ﴿ اقْرَأْ

باسْـــــــــــــمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ {١} خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ { العلق١،٢} وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾{الزمر ٦٢} .

وأنه إنما ذكر عن المسيح خلق شيء معين خاص بإذن الله ،وهذا الخلق يراد به تصويره – أي الطين– بصورة الطير، وهذا الخلق يقدر عليه عامة الناس إلا أنه محرم بخلاف تصوير المسيح،فإن الله قد أذن له فيه، والمعجزة فيه أنه ينفخ فيه الروح فيصير طيراً بإذن الله، وهذا من نعمة الله ولو كان اللاهوت هو الخالق لم يحتج أن يأذن لنفسه .[٢١٣]

وتتبع ابن تيمية– رحمه الله– جميع استدلالاتهم وبيّن تحريفهم للفظ الآية أحياناً ؛ وذلك حين قالوا : وقد قال في هذا الكتاب أيضا ــ ويقصدون به القرآن الكريم ــ : ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا الصالحين . قالوا والمراد بالكلمة هي المسيح.

فقال لهم : حرفتم لفظ الآية ومعناها فإن لفظها ﴿ ولقد سبقت كلمنا لعبادنا المرسلين. إنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون﴾.{الصافات ١٧٣،١٧٢،١٧١}.

فالكلمة التي سبقت من الله لعباده المرسلين أنه ينصرهم؛ والكلمة في لغة العرب هي الجملة المفيدة سواء كانت جملة اسمية أو فعلية؛ وهي القول التام، فليس في لفظ الآية – كما ذكر ابن تيمية– ما يدل على ما ذهب إليه النصارى بوجـــــــــــــه من الوجـــــــــوه، ولا في كون المسيح سبق لعباد الله المرســـــــــلين معنى صحيح .[٢١٤]

فتبيّن مما سق بطلان احتجاج النصارى وأنه – كما يقول ابن تيمية ليس لهم في ظاهر القرآن ولا باطنه حجة، كما ليس لهم حجة في سائر كتب الله ، وإنما تمسكوا بآيات متشابهات وتركوا المحكم[٢١٥].

* * *

الخاتمـــــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيد المخلوقات وعلى آله وصحبه وبعد :

فقد كان أهم ما تضمنه هذا البحث ما يلي :

١-كان ابن تيمية رحمه الله من أعلام السلف الذين شهد له أعداؤه قبل محبيه بسعة العلم والإحاطة بمختلف الفنون والعلوم والبراعة في ميدان الجدل والقدرة على مناقشة الخصوم على أنه امتحن بسبب آرائه حتى توفاه الله سجيناً في القلعة .

٢-كان ابن تيمية على معرفة بعقائد الديانات السابقة من يهودية ونصرانية ومعرفة بفرقها المختلفة ويشهد له بهذا كتابه الجواب الصحيح الذي رد فيه على النصارى وقد أكثر في هذا الكتاب من الاستطراد — على عادته في العديد من كتبه ورسائله — وهذا الكتاب من أهدأ ما كتبه ابن تيمية —رحمه الله — في الجدال .

٣- جاء عيسى عليه السلام بالدين الحق والدعوة إلى التوحيد وكانت رسالته خاصة ببني إسرائيل إلا أن الدين الذي جاء به وهو النصرانية قد حرف وأسهم في ذلك عوامل عديدة أهمها دخول بولس اليهودي في الديانة النصرانية واعتناق قسطنطين الملك بعد ذلك لها .

٤- يقصد بالتثليث عند النصارى ـــ وهذه هي التسمية الصحيحة لهم وهي الواردة في القرآن الكريم ـــ أن الله الواحد قائم في ثلاثة أقانيم إلهية هي الأب ويعبرون عنه بالذات والابن : يسوع ويعبرون عنه بالكلمة أو النطق ويجعلونه صورة الله والروح القدس ويعبرون عنه بالحياة أو روح الله والثلاثة أقانيم إله واحد، هذا ويعترف النصارى بأن كلمة التثليث أو الثالوث لم ترد ولا مرة واحدة في جميع كتب العهد القديم والعهد الجديد ؛وأن الكنيسة هي التي اخترعتها فهم بهذا قد ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ﴾{التوبة ٣١}

٥- عرف التثليث في العديد من الديانات قبل أن يعرف في ديانة النصرانية ومن تلك الديانات : ديانة الهندوس والديانة المصرية القديمة، والديانة الميثراسية والديانة البابلية

القديمة وديانة الفنيقيين كما عرف في الفلسفة الأفلاطونية الحديثة ؛وهذا يؤكد على الأصل الوثني لهذه العقيدة الباطلة وأن النصرانية المحرفة تأثرت بتلك الوثنيات السابقة .

٦- كانت الملكية واليعقوبية والنسطورية هي الفرق النصرانية المشهورة زمن ابن تيمية وهي التي عُني بالرد عليها والملكية هي الكاثوليك واليعقوبية هي الأرثوذكس وهي الموجودة إلى هذا العصر وأما البروتستانت فهي من الفرق التي حدثت بعد زمن ابن تيمية وإن كانت كسابقاتها اعتقدت التثليث وإن اختارت السكوت عن بيانه وإيضاحه مما يؤكد أن هذه القضية ـــ أي التثليث ـــ هي لب العقيدة النصرانية ومناقشتهم فيها وبيان بطلانها يعد من أهم الأمور لإبطال النصرانية المحرفة .

٧- تمثل منهج ابن تيمية في رده على النصارى في أمور هي :

أ- بيان مخالفة التثليث للعقل وأن الرسل عليهم السلام لا يجوز أن يخبروا بما يحيله العقل، وذكر أن النصارى إذا طولبوا بتفهيم مذهبهم أجابوا بأنه فوق العقل وأوضح أن من تدبر كلامهم وجد فيه من مناقضة صريح المعقول مالا يخفى ؛وهو في هذا يؤكد على مكانة العقل عند أهل السنة وأنه عضيد النقل .

ب- بيان تناقضهم في فهمه وتعريفه وبيان تناقض أصحاب القول الواحد وذلك بجمعهم بين النقيضين وذكر أنه لو اجتمع عشر نصارى لتفرقوا عن أحد عشر قولاً، وكل فرقة تكفر الأخرى ؛وهذا شأن العقائد الفاسدة .

ج-اعترافهم بعدم وجود أدلة من الكتب السماوية على التثليث ولم ينطق به عندهم كتاب من كتب الأنبياء ولا الحواريين .

د- بيان مخالفته للشـــــــــرع الموجود بأيديهم وأيدي غيرهم فالكتب الإلهية ناطقة بتتريه الله تعالى عن صفات النقص واتخاذ الولد في حقه سبحانه من صفات النقص وفي أناجيلهم نصوص كثيرة صريحة ترد على دعواهم في التثليث والحلول والاتحاد؛ فلا يمكن للباطل أن تتضافر عليه الأدلة بل هذا شأن الحق .

ه- بيان عدم اختصاص المسيح لما زعموه من الأدلة والألفاظ من كونه ابن الله وكون الله حلَّ فيه أو ظهر أو سكن وكون روح القدس أو روح الله حلت فيه وكونه مسيحاً فكل هذا موجود عندهم في حق غير المسيح؛ سواء من الأنبياء أو من الصالحين بل من عموم بني إسرائيل .

و- الاحتكام إلى اللغة وحمل كلام الأنبياء عليهم السلام على معنى لغتهم التي جرت عاداتهم بالتكلم بها لا على لغة يحدثها من بعدهم ؛وفي هذا بيان لأهمية اللغة .

ز- تتبع جميع الأمثلة التي ضربوها لبيان مذهبهم في التثليث وما تفرع عنه من القول بالحلول والاتحاد وبيان بطلانها جميعاً وعدم دلالتها على ما ذهبوا إليه ذلك أنه لا حقيقة له بل هو ممتنع فلا مثال له –كما لا دليل عليه – .

ح- بيان أن ماثبت للمسيح من الآيات فقد ثبت مثلها أو أعظم منها لغيره سواء إحياء الموتى أو إبراء الأبرص أو قلب الماء خمراً فلا اختصاص له بشيء من ذلك، وأنه اختص بأنه كلمة الله وروحه لأنه خلق بالكلمة وحبلت به أمه من الروح .

ط- الإنكار عليهم في استدلالهم بالآيات القرآنية من وجهين :كونهم ابتدعوا التثليث قبل بعثة محمد ﷺ، والثاني : أنهم إن استدلوا بالقرآن على أنه منزل من الله فإنهم ملزمون بالإيمان به، ثم إن ما استدلوا به من الآيات لا يدل على ما ذهبوا إليه من زعمهم أنه مدح دينهم المحرف وما يحويه من عقيدة التثليث الوثنية وفي هذا بيان لتناقضهم في الاستدلال .

وأخيرا فإنه من أعظم الجهاد قول الحق والدعوة إليه ورد الباطل وإبطاله وهذا ما كان من شيخ الإسلام ـــ رحمه الله ـــ في هذه القضية وغيرها من الدين الذي لم يأذن به الله .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين وسبحان ربك رب العزة عما يصفون .

الهوامش والتعليقات

(١) رد عليهم : الباقلاني ، ابن حزم ، الجويني ، الآمدي ، البغدادي ، الشهرستاني وابن تيمية وابن القيم وغيرهم.

(٢) ينظر: عماد الدين إسماعيل بن عمر ابن كثير،البداية والنهاية،تحقيق : أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢/١٤، أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب البغدادي المعروف بابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، مطبعة السنة المحمدية، مصر، الطبعة الأولى ٣٨٧/٢، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، تحقيق : محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٥ ه/١٩٦٥ م ١٤٤/١،أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ، المكتب التجاري،بيروت، ٨٠/٦، محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ،مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٤٨ه، ٦٣/١.

(٣) تيماء: بليد في أطراف الشام ووادي القرى على طريق الحاج، ياقوت الحموي، معجم البلدان،، قدم له : عبد الرحمن مرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،٤٧١/٢.

(٤) **ينظر** : محمد أبو زهرة، ابن تيمية، حياته وعصره، آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ١٧، محمد بهجت البيطـــــار، حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ص ٨ ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الهادي، العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق :محمد حامد فقي،مطبعة حجازي، القاهرة،عام ١٣٥٦ه، ص٢،

(٥) بلدة على طريق الموصل والشام والروم قيل سميت بهاران أخي إبراهيم عليه السلام فإنه أول من سكنها ولما عربت قلبت الهاء حاء، الحموي، معجم البلدان،١٣٠/٣.

(٦) دمشق الشام البلدة المشهورة قيل كان مكانها دار لنوح عليه السلام، الحموي، معجم البلدان ،٣٠٧/٤.

(٧) الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ثم المروزي ثم البغدادي ولد سنة أربع وستين ومائة ، نشأ يتيماً وطالب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة ، امتحن في مسألة خلق القرآن فثبت. توفي يوم الجمعة سنة إحدى وأربعين ومائتين وكان له جنازة عظيمة، ينظر :ابن سعد،الطبقات الكبرى،دار صادر،بيروت، ٣٥٤/٧، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣ه،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ٤٠٢/٤، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء،تحقيق :شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٧٧/١١، ابن كثير، البداية النهاية ،، ٣٤٠/١٠.

(٨) ينظر: محمد خليل هراس، ابن تيمية السلفي ، ص٢٥، أبو زهرة، ،ابن تيمية،، ص ١٤ .

(٩) الشيخ الإمام تقي الدين بن دقيق العيد القشيري المصيري ولد سنة خمس وعشرين وستمائة سمع الكثير ورحل في طلب الحديث وصنف التصانيف ، ولي قضاء الديار المصرية ومشيخة دار الحديث توفي سنة اثنتان وسبعمائة ، ينظر :ابن كثير،البداية والنهاية، ٢٨/١٤

(١٠) أحمد بن على بن محمد أبو الفضل العسقلاني المعروف بابن حجر ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمصر ونشأ يتيماً ، طلب العلم وحفظ القرآن صغيراً ، برع في علوم شتى ثم تفرغ لعلم الحديث ومن أهم مصنفاته التهذيب ولسان الميزان وأعظمها فتح الباري ، ولى القضاء عدة مرات ، توفي عام اثنين وخمسين وثمانمائة : ينظر الشوكاني، البدر الطالـــــع ٨٧/١، شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ٣٦/٢.

(١١) ابن حجر،الدرر الكامنة ، ١٥٣/١.

(١٢) علم الكلام ويسمى علم الجدل ويعرفه أهله ـــأي المتكلمون : بانه علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية عن طريق النظر والاستدلال ؛ أي أن منهجهم هو التأويل، وسبب تسميته بهذا الاسم لأن المتقدمين كانوا يقولون في الترجمة عن مباحثه : الكلام في كذا، أو لأنه قد كثر الخلاف في مسألة الكلام، أو لأن أهل الكلام هم أعظم الناس قولا لحشو الآراء والكلام الذي لا يعرف صحته مع أنهم يسمون أهل السنة حشوية، وهو من العلوم التي كرهها السلف لا لمجرد كونها اصطلاحا جديدا ؛ بل لاشتماله على أمور كاذبة مخالفة للحق .ينظر : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق : محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٤٠٤ه/١٩٨٤م،٤١/١،أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب، عبد الرحمن بن قاسم وساعده ابنه محمد، دار عالم الكتب، الرياض، طبعة ١٤١٢ه/١٩٩١م، ٤/ ٥٦،٥٧،٦٧،٨٧، علي بن علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي ، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق : أحمد محمد شاكر،طبع : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ، ١٤١٣ه،١٧٢،١٧٤ إبراهيم بن محمد البيجوري، شرح جوهرة التوحيد ،دار الكتب العلمية، بيروت،١١،١٠ .

(١٣) هراس، ابن تيمية السلفي ، ٢٧،٢٨.

(١٤) الشوكاني،البدر الطالع ، ، ٧٢ وينظر : ابن العماد،شذرات الذهب،، ٨٥/٢، ابن كثير، البداية والنهاية ، ١٤١/١٤، هراس، ابن تيمية السلفي ، ٢٨.

(١٥) ويقال : قبرس جزيرة في بحر الروم، معجم البلدان،الحموي، ١٧/٧.

(١٦) مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقي صور بينهما ستة فراسخ، الحموي، معجم البلدان،، ٢١٣/٥.

(١٧) شيخ الإسلام ابن تيمية، الجواب الصحيح ، مطابع المجد ، ١٩/١.

(١٨) ابن تيمية، الجواب الصحيح،١٩/١،وهناك سبب آخر استنبطه الشيخ أبو زهرة رحمه الله وهو رغبة الشيخ في إعلان الإسلام بين النصارى، وبيان حقائقه مقارنا بما عندهم ؛ليتبين لهم الحق، وبيان حقائق السيد المسيح ــ عليه السلام ــ ودعوته ينظر ص ٥١٥.

(١٩) ابن تيمية،الجواب الصحيح، ١٩/١.

(٢٠) وهذا موضوع هذا البحث وسيأتي زيادة بيان وتوسع فيه في الفصل الثاني من هذا البحثـــــ إن شاء الله تعالى ــ

(٢١) ابن تيمية ، أبو زهرة ١٩٠ه.

(٢٢) متى ٥ : ١٧ .الكتاب المقدس أي كتب العهد القديم والعهد الجديد،دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط .

(٢٣) متى ١٥: ٢٤

(٢٤) ينظر: عبد القادر شيبة الحمد، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ، مطبعة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ص ٣٥-٣٧، محمد أبو زهرة،محاضرات في النصرانية،تبحث في الأدوار التي مرت عليها عقائد النصارى وفي كتبهم وفي مجامعهم المقدسة وفرقهم،طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد،الرياض، عام ١٤٠٤ه، ١٥-١٧، ٣٦-٤١، محمد عزت الطهطهاوي ،الميزان في مقارنة الأديان،حقائق ووثائق، ص ٥٧ .

(٢٥) ينظرالأديان والفرق والذاهب المعاصرة ، شيبة الحمد ص ٣٠-٣١

(٢٦) اعمال الرسل ١-١٠

(٢٧) ينظر: أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفرادات في غريب القرآن،دار المعرفة،بيروت، ص ٤٩٥، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة شيبة الحمد ص ٣٠،الحموي، معجم البلدان،٢٥١/٥، نخبة من ذوي الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ، قاموس الكتاب المقدس ، مكتبة المشعل بإشراف رابطة الكنائش الإنجيلية في الشرق الأوسط، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨١م،٩٤٦ وهي مدينة في الجليل تبعد ١٤ ميلاً عن البحر وفيها ظهر الملاك لمريم.

(٢٨) متى ٣٦ : ٧١ لوقا ٢٤:٤:

(٢٩) متى ٣٦: ٦٩

(٣٠) ينظر:ابن تيمية، الجواب الصحيح ٣٣٧/٢

(٣١) قاموس الكتاب المقدس، ٩٤٧ وفي يوحنا، ٤: ٢٥، قالت له المرأة : أنا أعلم أن مسيا الذي يقال له المسيح يأتي، ٤: ٤٢ (وأن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم) .

(٣٢) ينظر ،اسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم،قدم له :عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ٣٧٢/١ .

(٣٤) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ٤٦،أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري،رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه ؛محمد فؤاد عبد الباقي، وقام بإخراجه ؛ محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ٤٧١/٦.

(٣٥) كانت في القديم حاضرة سوريا بنيت سنة ٣٠٠ ق.م وهي واقعة على نهر العاصي، اشتهرت بحسن موقعها وطيب هوائها وهي أول مركز أرسل منه المبشرون المسيحيون ينظر قاموس الكتاب المقدس ١٢٤

(٣٦) سفر أعمال الرسل ١١: ٢٦

(٣٧) زعيم الحواريين واسمه سمعان وغيره المسيح إلى بطرس الذي تفسيره صفا ينظر متى ١٠: ٢يوحنا ١: ٤٢، فاضل سيداروس اليسوعي وآخرون، معجم اللاهوت الكتابي،دار المشرق،بيروت، الطبعة الثالثة، ١٦٤.

(٣٨) رسالة بطرس الأولى ٤: ١٤

(٣٩) المصدر نفسه ٤: ١٦

(٤٠) قاموس الكتاب المقدس ٨٨٩ .

(٤١) من أعمال اسطنبول على البر الشرقي وهي التي اجتمع فيها آباء المسيحيين عام ٣٢٥م وكانوا ثلاثمائة وثمانية عشر أبا وهو أول مجمع لهم فيها، وبه أظهروا الأمانة التي هي أصل دينهم وهو المجمع الذي تم فيه اختيار الأناجيل الأربعة المعروفة واعتمادها دون سواها من الأناجيل ، الحموي، معجم البلدان،،٥/٣٣٣، ٨/٤٢٤.

(٤٢) ينظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح : ٣/١٦ –٣٣

(٤٣) ينظر:ول ديورانت، قصة الحضارة، قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية، ترجمة: محمد بدران، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية،الطبعة الثالثة، ١١/٣٨٢.

(٤٤) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ٤٨، ح٣٤٤٢، الفتح ٦/٤٧٧.

(٤٥) المصدر نفسه، باب ٤٩، ح ٣٤٤٨.

(٤٦) المصدر نفسه، ح ٣٤٤٩.

(٤٧) ابن منظور الإفريقي، لسان العرب ،دار صادر، بيروت، مادة ثلث ٢/١٢٣، وينظر:السيد محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس ، دار إحياء التراث العربي، عام ١٣٨٩ه، مادة ثلث ٥/١٨٩.

(٤٨) ابن منظور،لسان العرب ٢/١٢١

(٤٩) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط : عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت،١/٣٨٥ .

(٥٠) مفردها أقنوم وهو لفظ يوناني وقيل روماني وهي بمعنى الأصل أو الشخص ويوازيها في الإنجليزية كلمة person ومعنى ذلك أن الله وإن كان واحداً فهو ثلاثة أشخاص او ثلاثة أصول فالأقانيم هي أصول متشخصة يجمعها جوهر عام وهي ليست قوة مؤثرة تقوم بالذات ولا صفة ناعتة له وإنما هي أشخاص لها أوصاف وخواص وهذا اللفظ غير موجود في الكتب المقدسة عند النصارى ولا في كلام الحواريين.ينظر:ابن تيمية، الجواب الصحيح ، ٢/١٠٠، ابن منظور، لسان العرب، ٢/٤٩٦ ،محمد أبو الغيط الفرت، عقيدة التثليث في المسيحية وموقف الإسلام منها،دار الطباعة المحمدية، الأزهر بالقاهرة، ص ٤٠

(٥١) ينظر : الفرت ،عقيدة التثليث، ص ١٣

(٥٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٣٢

(٥٣) المصدر نفسه ، ص ٢٣٢

(٥٤) ينظر :المصدر نفسه، ١٠٧ ٤١٤ – ٤١٥،وينظر :محمد أحمد الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث،دار القلم،دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ص ٢٣٥

(٥٥) ينظر : ابن تيمية، الجواب الصحيح، ١١٦/٢،أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري،، الفصل في الملل والأهواء والنحل،دار المعرفة،بيروت، ١٣٩٥هـ،١٩٧٥م، ١/ ٥٤ ،ول ديورانت،قصة الحضارة، ٣٩٥/١١،الفرت، عقيدة التثليث، ص ١٠٤ –١٠٥

(٥٦) التوراة باسفارها الخمسة وملحقاتها أي جميع الأسفار المنسوبة للأنبياء الذين كانوا قبل عيسى عليه السلام واختلف في عددها ومعنى العهد في التوراة بمعنى الوعد الصادق من الله وقد يطلق على العهد القديم اسم التوراة لكونها أهم الكتب الموجودة فيه لأن موسى عليه السلام أعظم أنبياء بني إسرائيل .

(٥٧) الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها ويطبع العهد الجديد مع العهد القديم في كتاب واحد يقدسه النصارى ويقدس اليهود القسم الأول منه (العهد القديم) ويسمى الكتاب المقدس .

(٥٨) كان آريوس من أسباب انعقاد مؤتمر نيقية إذ كان يعتقد بشرية المسيح وان الأب وحده الله والابن مخلوق مصنوع وقد كان الأب إذا لم يكن الابن قادم كنيسة الأسكندرية وحاربها وأنكر ما جاء في الأناجيل مما يوهم ألوهية المسيح وكان من أنصاره في مصر وفلسطين ومقدونية والقسطنطينية كثيرين قضى بطريك الأسكندرية على فكرته وقوله – أي آريوس – بلعنه وطرده. ينظر:ابن تيمية، الجواب الصحيح ٣٢/٣، أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٥٠–١٥١

(٥٩) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٣٢.

(٦٠) ابن تيمية، الجواب الصحيح، ٩٠/٢ ٢٤٨ ينظر : رحمت الله بن خليل الكيرانوي العثماني الهندي، إظهار الحق، دراسة وتحقيق :محمد إظهار ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى،٧١٥/٣

(٦١) ينظر في هذه القول : الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص٢٠٧

(٦٢) أبو زهرة،محاضرات في النصرانية ص ١٢٥

(٦٣) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٣٣ .

(٦٤) متى : ١٠: ٥، ٦

(٦٥) يقول في رسالته إلى أهل غلاطية ٣:٢٨ (ليس يهودي ولا يوناني ليس عبد ولا حر ولا ذكر ولا أنثى لانكم جميعاً واحداً في المسيح يسوع فإن كنتم للمسيح فأانتم إذاً من نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثته)

(٦٦) أعمال الرسل ٢٥:٢٢

(٦٧) أعمال الرسل ٢٣: ٢٦ وينظر :محمد عبد الله الشرقاوي، دراسات في الملل والنحل، أصول المسيحية الهلينية،دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى،١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، ص ٢٦ ، وفي قاموس الكتاب

المقدس : انه صرف مدة طفوليته في طرطوس فحصل بذلك على الرعوية الرومانية وان اسمه العبري شاؤل واسمه الروماني بولس واما والده فكانا عبريين من سبط بنياميين ٣٥٧/١

(٦٨) ديورانت،قصة الحضارة،١١/ ٢٤٩

(٦٩) ينظر:الشرقاوي، دراسات في الملل والنحل، ص ٣٥، مصطفى شاهين، النصرانية، تاريخاً وعقيدة وكتبا ومذاهب، دراسة وتحليل، الناشرون العرب، الرياض ١٤٢ –١٤٤ ،أحمد ابن عبد الوهاب، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ،١٩٨٨م، ص ١٩١

(٧٠) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٩ ٢٠

(٧١) أحمد شلبي، المسيحية ،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، طبعة عام ١٩٨٤م، ص ١٣

(٧٢) رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٢: ١٤

(٧٣) رومه: ٣: ٢٨ .

(٧٤) معجم اللاهوت الكتابي، ص ٤٤٦ ٠

(٧٥) رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس ١: ١٥

(٧٦) ينظر: شيبة الحمد، الأديان الفرق والمذاهب المعاصرة، ص ٣٧

(٧٧) ينظر: المصدر نفسه، ص ٦٢

(٧٨) ينظر :محمد ضياء الرحمن الأعظمي، اليهودية والمسيحية، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ،١٩٨٨م، ص ٤١١ –٤١٢، الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص ١٠٤ –١٠٥

(٧٩) ينظر:شلبي، المسيحية : ١٧٧، الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص ١٠٠، شاهين، النصرانية ٢٢٤،سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان؛ اليهودية والنصرانية، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ص ٢٢٧.

(٨٠) أورومية وهي مدينة رياسة الروم وعلمهم،الحموي، معجم البلدان ٤٤٥/٤ .

(٨١) ينظر شلبي، المسيحية، ص ٨١، مجموعة من رجال الفكر، مناظرة بين الإسلام والنصرانية،طبع ونشر : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤١٢هـ، ص ٢٦٢، ٢٦٣،الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص ١١١

(٨٢) من الفلاسفة المتأخرين كان من الإسكندرية وقد كان شيخه أمنيوس اعتنق الديانة النصرانية ثم ارتد عنها، رحل إلى فارس والهند، توفي عام ٢٧٠م، ينظر: أبو حامد الغزالي،المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال،تحقيق وتقديم : جميل صليبيا وكامل عياد، دار الأندلس ، ص ٣٣٩، أبو زهرة، محاضرات في النصرانية ص ٤٣.

(٨٣) ينظر:أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ٠ ص ٤٤ – ٤٥ ، الأعظمي، اليهودية والمسيحية ص ٤١٥

(٨٤) المدينة المشهورة بمصر – سميت بذلك نسبة إلى الإسكندر المقدوني الذي بناها كما قيل، الحموي ، معجم البلدان ٥٠/١.

(٨٥) ينظر:الأعظمي ، اليهودية والمسيحية ٤١٢.

(٨٦) ينظر:نفس المصدر والصفحة .

(٨٧) ديورانت ، قصة الحضارة، ١١ /٢٠٢

(٨٨) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الفارسي الأصل ثم القرطبي اليزيدي – فقيه حافظ متكلم أديب وزير ظاهري له العديد من التصانيف ولد بقرطبة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، نشأ في تنعم ورفاهية رزق ذكاء، صنف في مختلف العلوم – توفى سنة ست وخمسين وأربعمائة ينظر : أحمد بن محمد المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق :إحسان عباس، بيروت،١٩٦٨ه ، ٢ /٧٧ – ٨٤، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٨ /١٨٤ ،ابن كثير، البداية والنهاية ١٢/ ٩٨،

(٨٩) ابن حزم، الفصل ج١ ص ٤٨ ، ينظر :محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، هداية الحباري في أجوبة اليهود والنصارى ، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ص ٦٥، الفرت،عقيدة التثليث ، ص ٨٤

(٩٠) ينظر: ابن حزم، الفصل،٤٩/١، ابن تيمية، الجواب الصحيح ص ٣٠٨ –٣١٠، ٣١٥ –٣١٦، الشهرستاني، الملل والنحل ٨/ ٢٢٢

(٩١) يقال الخذقونة وهو الصقع الذي منه المصيصة وطرطوس، الحموي، معجم البلدان ٢٤٤/٣.

(٩٢) ينظر:شلبي، المسيحية ، ص ١٩٤، الأعظمي، اليهودية والمسيحية ص ٣٩٨ – ٣٩٩

(٩٣) داعية مصري جاب البلاد داعياً إلى مذهبه سمي البراذعي لأنه كان يلبس لباساً من خرق البراذع،ابن حزم، الفصل ٤٩/١، ديورانت، قصة الحضارة ١٠٢/١٢–١٠٣.

(٩٤) ينظر :ابن حزم،الفصل،٤٩/١، ابن تيمية، الجواب الصحيح ٢/ ٣١٥،الشهرستاني، الملل والنحل ١/ ٢٢٥

(٩٥) مدينة شهيرة في آسيا الصغرى كانت قديماً حاضرتها واشتهرت بهيكل آرطاميس العظيم المبنى فيها، يدعي النصارى أن بولس لما ذهب إليها وعمد الناس باسم المسيح حل الروح القدس عليهم، اشتهر أهلها بالإقبال على السحر .كانت قديماً مركزاً لتجارة رائجة وأصبحت الآن خراباً وعلى أنها كانت مدة من الزمان خصت للمسيحيين إلا أنه لا يوجد فيها الآن نصارى، ينظر قاموس الكتاب المقدس ٩٢

(٩٦) ينظر: شلبي، المسيحية ص ١٩٣

(٩٧) ينظر: المصدر نفسه – ص ٢٤١

(٩٨) العراق المشهور سمي بذلك لأنه دنا من البحر فهو على شاطيء دجلة والفرات، الحموي، معجم البلدان٣٠٥/٦.

(٩٩) بالفتح وكسر الصاد: المدينة المشهورة وهي باب العراق ومفتاح خراسان،الحموي، معجم البلدان ٣٣٩/٧.

(١٠٠) جزيرة ابن عمر بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام،الحموي، معجم البلدان ٥٧/٣ ؛ والموصل والجزيرة هما حاليا من أقاليم دولة العراق .

(١٠١) ينظر:الشهرستاني، الملل والنحل ٢٢٤/١، ابن تيمية، الجواب الصحيح ص، شلبي،٣١٦ المسيحية ١٩٢،

الفرت، عقيدة التثليث ص ٨١.

(١٠٢) ينظر شلبي، المسيحية ص ٢٤١، أبو زهرة، محاضرات في النصرانية٢٤٤ الأعظمي،اليهودية والمسيحية ص ٤٠٨- الكيرانوي ،إظهار الحق ص ٧١٧

(١٠٣) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ٤٨، ح٣٤٤٥ ،ابن حجر، الفتح ٤٧٨/٦.

(١٠٤) ابن تيمية، الجواب الصحيح ٩٣/٢.

(١٠٥) المصدر نفسه ١٢٢/١

(١٠٦) المصدر نفسه ٢/ ٩١.

(١٠٧) المصدر نفسه ٩٤/٢، وسبق قبل صفحة ذكر أن البروتستانت أعرضوا عن ذكر العلاقة بين الأقانيم الثلاثة أي عن الكلام في حقيقة التثليث .

(١٠٨) ينظر : المصدر نفسه، ٢/ ١٦٠، ٣/ ١٣٠،٦٩،٤٩ .

(١٠٩) ينظر : المصدر نفسه ٢٤٧/١.

(١١٠) ينظر:المصدر نفسه، ١١٣/٢-١٤٣-١٥١، ٥٣/٣. وينظر:ابن حزم، الفصل، ٥١/١.

(١١١) ينظر:ابن تيمية، الجواب الصحيح،١٥٦/٢-١٦١.

(١١٢) هناك فرق بين هذين المصطلحين ؛ فالحلول هو : اختصاص شئ بشئ بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر،كحلول ماء الورد في الورد، وأهل الحلول ــ كما ذكر ابن القيم في النونية ــ قسمان : فريق يقول بالحلول الخاص في بعض البشر كما ذهب إليه النصارى في المسيح، وفريق يقول بأن الله حال بذاته في كل مكان . وأما الاتحاد فهو امتزاج الشيئين أو الذاتين بحيث يصيرا ذاتا واحدة .ينظر : شرح القصيدة النونية ؛ محمد خليل هراس،٦٠/١

(١١٣) الدور هو : توقف الشيء على ما يتوقف عليه . ينظر : التعريفات للجرجاني ص ٥٩

(١١٤) الجواب الصحيح ، ابن تيمية ٦٩/٣-٧١.

(١١٥) ينظر : المصدر نفسه،١١٤/٢

(١١٦) ينظر : المصدر نفسه،١١٥/٢

(١١٧) ينظر : الجواب الصحيح، ابن تيمية،١٥٦/٢

(١١٨) ينظر : الجواب الصحيح ، ابن تيمية ٢٦٧/٢،١٦١.

(١١٩) ينظر :المصدر نفسه،١٥٩/٢

(١٢٠) نفس المصدر والصفحة، وقال ابن حزم : وتالله لولا أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن في العالم عقلا يسع هذا الجنون، الفصل ٤٩/١.

(١٢١) الجواب الصحيح ، ابن تيمية ، ١٥٥/٢ وينظر ١٦٤/٣.

(١٢٢) كان نصرانياً فأسلم على بصيرة بعد الخبرة بكتب النصارى ومقالاقم ، كتب رسالة إلى أخيه على ابن أيوب يذكر فيها سبب إسلامه ويذكر فيها الأدلة على بطلان دين النصارى وصحة دين الإسلام، نقل هذه الرسالة ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح ، ينظر الجواب الصحيح، ٣١٣/٢.

(١٢٣) ابن تيمية، الجواب الصحيح، ٣/ ٤

(١٢٤) نسبة لأريوس وكان يقول : إن الأب كان إذا لم يكن الابن ثم أحدث الله الابن وفوض الأمر إلى ذلك الابن المسمى كلمة فكان خالق السموات والأرض وما بينهما ثم إن الكلمة تجسدت من مريم العذراء ومن روح القدس فصار مسيحياً واحداً قالوا: وبه تكونت الأشياء ولم يخبر أنها كونت له ، وقد لعن في مجمع نيقية عام ٣٢٨م، ينظر الجواب الصحيح ٢٢/٣، الفصل ٤٨/١.

(١٢٥) ابن تيمية، الجواب الصحيح،١٧٩/٣.

(١٢٦) المصدر نفسه ١/ ٢٤٧ .

(١٢٧) كما سبق ذكره في الفصل الأول، المبحث الثالث.

(١٢٨) ينظر الجواب الصحيح ، ابن تيمية، ٣٠٧/٢.

(١٢٩) ينظر المصدر نفسه ٣١٠/٢.

(١٣٠) المصدر نفسه ٩٣/٢ ينظر ص ١٥٢.

(١٣١) المصدر نفسه، ٣٠٩/٢ .

(١٣٢) الجواب الصحيح ١٥٥/٢ وينظر ص ١١٧.

(١٣٣) المصدر نفسه،٢٢٤/٣.

(١٣٤) ينظر : المصدر نفسه، ٢٢٥/٣ـــ٢٢٦.

(١٣٥) ينظر المصدر نفسه، ١٣٣/٢، ١٦٢/٣.

(١٣٦) ينظر :المصدر نفسه، ٤٥/٣.

(١٣٧) ينظر المصدر نفسه ٢٧٦/٢.

(١٣٨) ويقصد بها قانون الإيمان وقد سبق ذكره في المبحث الأول من الفصل الأول .

(١٣٩) المصدر نفسه ١٥٥/٢.

(١٤٠) المصدر نفسه ٢٥٧/٢.

(١٤١) ينظر المصدر نفسه ١٥٧/٢، ١٦٥،١٧٣،٢٦٦،٢٧٦.

(١٤٢) ينظر المصدر نفسه ١٢٠/٢، ٢١٥/٢.

(١٤٣) المصدر نفسه ، ١٦٦/٣.

(١٤٤) ينظر : المصدر نفسه ؛ ١٧٢/٣، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٢.

(١٤٥) وذلك في التمهيد.

(١٤٦) ابن تيمية،الجواب الصحيح ،٢٤٥/٢ وينظر ص ١٠٠، ١١٢، ١٣٤، ٣، ١٨٣.

(١٤٧) المصدر نفسه ، ١٦١/٣.

(١٤٨) المصدر نفسه ١٢٢/٢.

(١٤٩) المصدر نفسه، ٢/٢٢٢.

(١٥٠) المصدر نفسه ، ٢/٢١٨-٢٢٢.

(١٥١) متى : ٢٨:١٩.

(١٥٢) ينظر :ابن تيمية، الجواب الصحيح، ٢/٢٢٤،١٣١، ٣/١٨٣ .

(١٥٣) ينظر : المصدر نفسه ، ٣/١٨٤.

(١٥٤) سفر الخروج ، ٣٣:٢٠ (وقال لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش)

(١٥٥) يوحنا : ١ : ١٨: (الله لم يره أحد قط ٥:٣٧ : (الاب نفسه الذي أرسلني يشهد لي لم تسمعوا صوته قط ولا أبصر ثم هيئته).

(١٥٦) ينظر :ابن تيمية، الجواب الصحيح، ٢/١٦٧،١٦٦ .

(١٥٧) متى ٣٦/٢٤ وينظر ٦/١٢، ١٣/١٥، ١٧/١٦، ١٠/١٨، ١٩/١٠، ١٧، ٣.

(١٥٨) ابن تيمية، الجواب الصحيح، ٢/٢١٨ ..

(١٥٩) يوحنا : ١١ : ٤١، ٤٢، (ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال : أيها الأب أشكرك لأنك سمعت لي . وأنا علمت انك في كل تسمع لي).

(١٦٠) يوحنا : ٨: ٢٩.

(١٦١) ينظر :ابن تيمية، الجواب الصحيح ،٢-٣٣٤-٣٥٣ وينظر ٢/٢١٦-٢١٧. (١٦٢)ينظر:المصدر نفسه ٣/١٩٧، ٢/١٩٨،١٩١-١٩٤، وينظر: الشرقاوي دراسات في الملل والنحل، ص ١٠٦.

(١٦٣) ينظر : متى : ٥ : ١٦ ، ٤٥، ٤٨، ٦ : ٢.

(١٦٤) متى : ١٠ : ٢٠ ، أعمال الرسل الأصحاح الأول : ٥.

(١٦٥) ابن تيمية، الجواب الصحيح ٣/١٩٦، وينظر ٢/٩٧، ١٢٣، ١٢٤.

(١٦٦) مزامير : ٢ : ٧.

(١٦٧) مزامير : ٥١: ١١.

(١٦٨) ابن تيمية،الجواب الصحيح، ٢ /٩٧ .

(١٦٩) المصدر نفسه ٢/١٢٤، ٣/١٩٨.

(١٧٠) ينظر :المصدر نفسه، ٢/٣٠١، ٣٠٢ .

(١٧١) ينظر:المصدر نفسه، ٢/٩٦-٢٤٦- ٣٤٣. ٣/ ١٨٩-١٩٢.

(١٧٢) المصدر نفسه ٢/١٢٨.

(١٧٣) متى : ٢٨:١٩ ؛ جاء في قاموس الكتاب المقدس : ظن البعض أنه يراد بلفظه أبناء الله إما ملائكة أو أرواح أطهار — إلى قوله — المراد بأبناء الله أمراء أو رجال عظام أبناء أناس كرام اشتهروا بتقواهم وطهارتهم ومحبتهم لآلهتهم .

(١٧٤) ينظر الجواب الصحيح ، ابن تيمية ٢/٩٧، ١٢٣، ٢٤٦، ٣٤٥، في قاموس الكتاب المقدس : يقصد

بلفظه رب غالباً اسم الجلالة غير أنها تستعمل أحيانا بمعنى سيد أوصولى دلالة على الاعتبار والإكرام ٣٩٦.

(١٧٥) ينظر :ابن تيمية، الجواب الصحيح ، ٩٨/٢، ١٣٣، ٣٤٥.

(١٧٦) ينظر المبحث السابق .

(١٧٧) ينظر :ابن تيمية،الجواب الصحيح، ٢٤٦/٢،٩٩ .

(١٧٨) الموجود في سفر أيوب : ٣٣: ٤ (روح الله صنعني ونسمة القدير أحييتني، وما ذكره ابن تيمية في النسخة الموجودة آنذاك.

(١٧٩) ينظر :ابن تيمية، الجواب الصحيح، ١٢٧/٢، ١٢٨ .

(١٨٠) ينظر المصدر السابق ١٨٧/٢، ١٩٧، ٢١٦.

(١٨١) ينظر : سفر التكوين : ١٧: ١ ، ١٨: ١.

(١٨٢) ينظر :ابن تيمية، الجواب الصحيح ، ٢٠٥/٢، ٢٠٩، ٢١٧.ولا شك أن هناك فرقا بين الوجود العيني والمثال العلمي، فيقصد بالأول عين وجود الشيء خارج الذهن وأما الثاني فهو وجوده في الذهن .

(١٨٣) إمام النحو، وهو أبو بشير عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي، سمي سيبويه لأن وجنتيه كانت كتفاحتين ، لزم الخليل بن أحمد، ودخل بغداد وناظر الكسائي، صنف كتاباً في النحو، توفي وعمره اثنتان وثلاثون سنة عام ثمانين ومائة، وقيل ثمان وثمانين ومائة . ينظر:محمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين،القاهرة،١٩٥٤ م،ص ٦٦، البغدادي، تاريخ بغداد ١٩٥/١٢، الذهبي، سير أعلام النبلاء ٣٥١/١٨ ،ابن كثير، البداية والنهاية ١٨٢/١٠.

(١٨٤) ابن تيمية،الجواب الصحيح ، ١٣٦/٢.

(١٨٥) ينظر :المصدر نفسه، ١٢٠/٢، ١٥٥، ١٥٩، ٢٥٢، ٨٥/٣، ١١٥.

(١٨٦) ينظر المصدر نفسه، ٢٥٢/٢، ٢٥٣.

(١٨٧) المصدر نفسه، ٢٥٢/٢، ٢٥٣.

(١٨٨) ينظر المصدر نفسه، ٨٥/٣-٨٧.

(١٨٩) ينظر:المصدر نفسه، ١١٥/٣-١١٩.

(١٩٠) ينظر المصدر نفسه ٢٥٧/٢، ١١٤/٣.

(١٩١) المصدر نفسه،٢٥٨/٢،٣/١٢٩ .

(١٩٢) ينظر المصدر نفسه ٢٥٧/٢، ١٠٩/٣.

(١٩٣) ينظر المصدر نفسه ٢٥٧/٢.

(١٩٤) ينظر المصدر نفسه ١٢٧/٣.

(١٩٥) ينظر:المصدر نفسه، ٨٨/٣-٩٠.

(١٩٦) ينظر : المصدر نفسه، ١١٤/٢، ١٢٩ .

(١٩٧) جاء في سفر الملوك الأول ، ١٧ : ١٧-٢٢ (وبعد هذه الأمور مرضت المرأة صاحبة البيت واشتد مرضها جدا حتى لم تبق فيه نسمة، فقالت لإيليا : مالي ولك يا رجل الله هل جئت إلي لتنكير اسمي وإماتة ابني ؛فقال لها : أعطيني ابنك، وأخذه من حضنها وصعد به إلى العلية التي كان مقيما بها واضجعه على سريره وقال : أيها الرب إلهي ...وصرخ إلى الرب وقال :يا رب إلهي لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه . فسمع الرب لصوت ايلياء فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش .

(١٩٨) مثل اليسع وذلك كما ورد في سفر الملوك الثاني ٤: ٢٤-٢٧ ؛أن امرأة من نساء بني الأنبياء توفي زوجها وعليه دين وأن المرابي أتى لأخذ ولديها عبيدا له وأتت إلى اليسع فقال لها : اذهبي استعيري لنفسك من من عند جميع جيرانك أوعية فارغة لا تقللي ثم ادخلي واغلقي الباب على نفسك وعلى بنيك وصبي في جميع هذه الأوعية وما امـــتلأ انقليه)

(١٩٩) ورد عن اليسع أنه شفى عظيماً من عظماء الروم من البرص ثم اتبعه عبد اليسع أوهمه أن اليسع يطلب منه مالاً وأعطاه العظيم ولما عاد لليسع أخبره اليسع بما فعل وجعل برص ذلك العظيم على هذا العبد ونسله ينظر : سفر الملوك الثاني : ٥: ٢-١٢.

(٢٠٠) يوحنا : ٢ : ٣-١٠.

(٢٠١) سفر الملوك الثاني : ٤ : ١-٧.

(٢٠٢) ينظر :ابن تيمية، الجواب الصحيح ، ٢/٢٧٣-٢٧٥.

(٢٠٣) ينظر : إنجيل متى : ٢٦ : ٣٩ وذلك حين تضرع لربه ليلة تسليمه وقوله (وكان يصلي قائلاً : يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ولكن ليس كما أريد بل كما تريد أنت) وفي مرقس : ١٤: ٣٦: (وقال : يا أيها الأب كل شيء مستطاع لك فأخر عني هذه الكأس ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت) وفي لوقا : ١٠ : ٢١ (وفي تلك الساعة تهلل يسوع بالروح وقال : أحمدك أيها الرب رب السماء والأرض لأنك أخفيت ...) وفي لوقا: ٢٢: ٤٢ (وصلى قائلاً: يا ابناه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك) وفي يوحنا : ١١ : ٤٢: (ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال : أيها الأب أشكرك لأنك سمعت لي).

(٢٠٤) ينظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح ، ابن تيمية ٣/٦٣.

(٢٠٥) ينظر :المصدر نفسه، ٢/١٣٤.

(٢٠٦) ينظر المصدر نفسه ص ٢٥٩-٢٦١.

(٢٠٧) ينظر :المصدر نفسه، ٢/٢٨٢،٢٧٩ ..

(٢٠٨) ينظر : المصدر نفسه، ٢/٣٠٠-٣٠٣.

(٢٠٩) ينظر : انجيل متى ٢٧: ٣٥-٣٧ ، مرقس : ١٥: ١٦: لوقا : ٢٣: ٢٥.

(٢١٠) ينظر : ابن تيمية، الجواب الصحيح ، ٢/٢٨٥-٢٨٧.

(٢١١) ينظر :المصدر نفسه،٢/٢٨٥، ٢٨٧.

(٢١٢) ينظر: المصدر نفسه ٢/٢٦٥.

(٢١٣) ينظر :المصدر نفسه، ٢/٢٩٠-٢٩١.

(٢١٤) ينظر :المصدر نفسه، ٢/١٣٥، ١٣٧.

(٢١٥) ينظر : المصدر نفسه ٢/٣٠٤.